وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة – يحيى فارس – المدية

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

توظيف التّراث الأسطوري في رواية "من أساطير الصحراء" للكاتب اللّيبي إبراهيم الكوني".

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: – نقد حديث ومعاصر –

إعـــداد الطالبتين:

عفاف ميلودي

نجاة لباني

إشـــراف الأستـــاذ:

د/ سليم حيولة

السنة الجامعية: 2023/2022م


بسم الله الرحمن الرحيم

شكـــــــر

نشكر الله عز وجل على توفيقنا في إنجاز هذا العمل المتواضع.

كما نتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من أمدنا بيد المساعدة

من قريب أو من بعيد ولو بكلمة طيبة،

ونخص بالذكر الأستاذ المشرف " سليم حيولة"

" جزاه الله كل خير وجعل ذلك في ميزان حسناته "

وشكـــرا

إهـــــداء

الى نسائم العطر وعنبر الفلاح الى أعز ما أملك

الى التي حملتني وهنا على وهن وسهرت الليالي في الصغر ومدت لي يد العون في الكبر، الى نبع الحنان وسر الامان وزينة الوجدان و أعز ما املك في هذه الحياة

امي الغالية حفضها الله واطال في عمرها ورزقها الصحة والعافية

الى من لا استطيع رد فضله طول حياتي وكان ذرع الامان مرشدي وسندي في هذه الحياة

أبي الغالي حفضه الله واطال في عمره

الى أخي عبد الرحمان وأختي نسرين

الى كل من وسعتهم ذاكرتي ولم تسعهم مذكرتي

مقدمة

مقدّمة

شهدت الرواية العربية خلال الآونة الأخيرة بروز ظاهرة فنية وثقافية جديدة وهي توظيف التراث المحلي ،حيث توجه الروائيون العرب المحدثين و المعاصرين إلى التجديد في الرواية العربية وتغيير مسارها بعد أنْ هيمنت الرواية الغربية عليها وذلك بتقليد الروائيون العرب للرواية الغربية في كتاباتهم الروائية فأصبحت نسخة عنها نتيجة التأثر الكبير بالرواية الغربية وكتابها، فحاولوا تأسيس رواية عربية تحمل ملامح العالم العربي وذلك بتوجههم نحو توظيف تراثهم المحلي وتسليط الضوء على الواقع العربي المعاش ورصد المشاكل الاجتماعية والسياسية التي يعاني منها الوطن العربي ، ومحاولة إبراز الهوية العربية الأصيلة والكشف عن الثقافة العربية بالعودة إلى الماضي العريق و إعادة إحياء التراث .

وجّه الروائيون العرب نظرهم نحو تراث بيئتهم المحلية واتّخذوا من عناصر التراث مادة أساسية بنوا عليها رواياتهم ومنبعاً استقوا منهم أفكارهم ، ومن بين العناصر التي تناولوها في رواياتهم الأساطير .

حظيت الأساطير بمكانه هامة في الرواية العربية المعاصرة عامة وفي الرواية المغاربية خاصة لكثافة الأعمال الروائية التي تناولتها باعتبارها أحد أهم عناصر التراث المهمة في حياة الشعوب والمجتمعات فهي جزء لا يتجزأ من المجتمع إذ تربط الماضي الشعوب بحاضرهم ولها قابلية الامتداد للمستقبل.

يعد الروائي اللّيبي "إبراهيم الكوني" من أهم الروائيين العرب والمغاربة اهتماما بتوظيف تراث البيئة المحلية في أعمالهم الروائية فنجد أنّه وظّف تراث بيئته المحلية في كلّ كتاباته الروائية وخاصة الأسطورة التي تعد أهم عناصر التراث وقد شكلت ركيزة أساسية في رواياته من خلال توظيفه لها في كتاباته الروائية .

وبالنّظر إلى الأهمية البالغة التي حظيت بها الأساطير في روايات الكوني تأتى لنا طرح التساؤلات التالية ماهي الأسطورة وما أهميتها في حياة الشعوب؟ من هو الروائي ابراهيم الكوني ؟ وما هي خصوصيات الأدب اللّيبي ؟ وكيف وظّف إبراهيم الكوني الأساطير في رواياته من أساطير الصحراء؟

أمّا فيما يخص دوافع اختيارنا لموضوع بحثنا " توظيف التراث الأسطوري في رواية من أساطير الصحراء لإبراهيم الكوني " فتعود إلى ميولنا إلى الرواية العربية و الكشف عن الثقافات العربية المتنوعة والرغبة في الكشف عن العالم الغامض الذي تحمله روايات والاطلاع على الأساطير التي وظّفها من خلال روايتنا المدروسة أما الدافع الأكبر هو التعرف عن الروائي اللّيبي إبراهيم الكوني الذي حظيّ بأهمية بالغة ومكانة لافتة من خلال كتاباته الأدبية على الصعيد العالمي.

وللكشف عن الأساطير التي وظّفها الكوني في روايته من أساطير الصحراء طرحنا الإشكالية الآتية كيف وظّف إبراهيم الكوني لتراث الأسطوري في رواية من أساطير الصحراء؟

والإجابة عن هذه الإشكالية قسمنا بحثنا إلى فصلين تناولنا في الفصل الأول التّراث الأسطوري وتوظيفُه في كتابات إبراهيم الكوني يحتوي على مبحثين تطرقنا في المبحث الأول إلى ماهية الأسطورة وأهميّتها والمبحث الثاني تطرقنا فيه إلى الأدب اللّيبي؛ تاريخُه وخصوصياته الفنية أما الفصل الثاني فتناولنا فيه الأسطورة في كتابات إبراهيم الكوني والذي ينطوي عليه مبحثين تطرقنا في المبحث الأول إلى إبراهيم الكوني و مكانته في الأدب العربي أما المبحث الثاني فتطرقنا من خلاله إلى توظّيف الأسطورة في رواية من أساطير الصحراء .

وقد اعتمدنا في إعداد بحثنا على المنهج التحليلي الذي ساعدنا على تحليل الأساطير الواردة في رواية من أساطير الصحراء .

أما عن الصعوبات التي واجهتنا خلال إعدادها لهذا البحث فتمكن في قلة المصادر التي تتناول الأدب اللّيبي بالإضافة إلى الغموض الذي تحمله كتابات الكوني وخاصّة المعجم اللغوي الصعب والكلمات الطوارقية غير المفهومة التي وجدنا صعوبة في فمهما إلا أننا استطعنا تجاوز هذه الصعوبات بفضل توفيق الله سبحانه وتعالى ثم يعود الفضل للأستاذ المشرف "**سليم حيولة**" الذي كان لنا خير معين بعد الله تعالى فكان له الفضل الكبير. في إعداد بحثنا بما قدمه لنا من نصائح و وإرشادات ، فجزاه الله عنا كلّ خير وأمده بالصحة والعافية.

الفصل الأوّل؛ التّراث الأسطوري وتوظيفُه في كتابات إبراهيم الكوني

المبحث الأوّل؛ الأسطورة وأهميّتها

المبحث الثاني: الأدب اللّيبي؛ تاريخُه وخصوصياته الفنية

المبحث الأوّل؛ الأسطورة وأهميّتها

الأسطورة في التّراث الإنسانيّ ؛ مفهومُها وأهميّتها

تدخل الأسطورة في تكوين أفكار المجتمعات والثقافات الإنسانية منذ القديم، وتلعب أدوارا هامّة في تكوين مخيّلة الشعوب فهي ذات أهمية بالغة باعتبارها المخزون الثّقافي لكلّ أمّة، ولكلّ شعب أساطيره الخاصّة به، التي تروي خرافات وقصصا غير حقيقية أو مختلطة بالحقيقة ومُمتزجة بالخيال، وقد ظهرت في طفولة المجتمعات فهي قديمة قدم الإنسان في الكون، فنجدها عند الهنود والصينيّين واليونان منها ما كُتب ومنها ما نُقل شفويا وانتقل إلى حاضرها عبر الزمن الطويل، والأساطير تُضاف لها أحداثٌ جديدة وتتطوّر بحسب تطوّر المجتمعات المحتضنة لها فلا تبقى في صورتها الأولى بل تُواكب تطوّر الواقع المعاش بين الأفراد، وتبرز أهميّتها في إثراء الأدب والثّقافة بصفة عامّة، إذ إنّ الكثير من الكتّاب في أروبا والعالم العربي ضمّنوا أدبَهم أساطير أو أجزاء منها من أجل توضيح المعنى بشكل جيّد، وإذا عدنا إلى دلالة مفهوم الأسطورة نجد أنّها قد حُدّدت في بعض المعاجم على انّها من مادة "سطر" حيث «**سطّر الكتاب سطره والورقة رسم فيها خطوطا بالمسطرة والعبارة ألفها ويُقال سطّر الأكاذيب وسطّر علينا :قُصّي علينا الأكاذيب ؛ الأساطير الأباطيل والأحاديث العجيبة في التّنزيل العزيز "إنْ هذا إلّا أساطير الأولين"**»[1]. فالأسطورة مرتبطة بالقصّ والسرد المشوب بالأباطيل والأكاذيب، فهو قصّ لا يُعبّر عن أحداث تاريخية حقيقيّة فهي أقرب إلى العجائب والخرافات، وقد

[1]– معجم اللّغة العربية :المعجم الوسيط، الإدارة العامة المجمعات وإحياء التراث، جمهورية مصر العربية، مكتبة الشروق الدّولية. الطبعة الرابعة، ص 459

وردت مفردة أساطير في القرآن الكريم أيضا، حيث ذكر الله قول الكافرين الدي شكّكوا في صدق الرسول صلّى الله عليه وسلّم، والقصص الذي ورد في القرآني فهو قصص حقّ ووقائع حدثت بالفعل وليس أساطير وهو ما جعل الله تعالى ينفي ذلك فيما يلي من آيات.

إنّ الخيال مرتبط بالإنسان لذلك نجد الثّقافات الإنسانية تعتمد عليه بل إنّ الإنسان نفسه يعيش في أغلب فترات حياته متعلّقا بقصص خيالي أو أحداث متخيّلة، فالخيال ضروري في حياة البشر ولا نعرف شعبا ليست له قدرات مخيالية أنتج بها قصصا و حكايات، وقد أوضح "فراس السواح" وظيفة الأساطير بقوله «**إنّ الأسطورة هيحكايةٌ تقليدية تلعب الكائنات الماورائية أدوارَها الرئيسية حيث إنّ الأسطورة تتشابه مع الخرافة والقصة الشعبية وغيرها لكنْ من خلال التّدقيق والمقارنة يمكن تمييز الأسطورة عن باقي الأجناس الأخرى، هكذا نتقرّب أكثر وأكثر من التّعريف الدّقيق لدراسة الأسطورة كظاهرة متميّزة ذات خصوصية عالية ونظرا لما تُقدّمه أساطير الشعوب فهي تُعتبر مادّة غنية تُساعدنا على فهم وتفسير ظواهر الثّقافة الإنسانية**»[1]. فالأسطورة قد تحوي كائنات عجيبة تنتمي لعالم الغيب المتخيّل وعلى الرغم من تشابهها والخرافة والقصة الشعبية كما يرى "فراس السواح" إلّا أنّها تختلف عنهما وتتميّز بأنّها تُساعد الإنسان على فهم الوجود والكون والإنسان وتلعب دورا أساسيا في تكوين الثّقافة وتفسير ظواهرها داخل المجتمع الإنساني.

تُعْنى الأساطير بالخرافات و اللّاواقعي وكذا أقاصيص الآلهة وهذا المفهوم نجده في التّعريف القديم للأسطورة، فقد وردت على أنّها «**والأساطير Myth Mythos،هي في الفهم الكلاسيكي مجموعة خرافات وأقاصيص وهي اشتقاق من**

[1]– فراس سواح، الأسطورة والمعنى، دراساتٌ في الميثولوجيا والديانات المشرقية، دار علاء الدين للنشر والتوزيع، دمشق 1979، ص 8

(سطر الأحاديث)وموضوعها إضافة للآلهة؛ تتناول الأبطال العابرين وفق لغة وتصورات وتخيّلات وتأملات وأحكام تناسب العصر والمكان الذي صيغة فيه وشكل الأنظمة، والمستوى المعرفي، وهي في الوقت ذاته تشكل ثقافة عصرها، بحيث تبدو ذات خصوصية تربطها ببيئتها ومجتمعها، بحيث يُمكن دراستها، استقرار التّاريخ الأصدق لزمانها و مكانها»[1]. حيث ترتبط الاسطورة ارتباطا وثيقا بمجتمعها ؛فهي ابنة مجتمعها والبيئة التي ولدت فيها فتروي حكايات عابرة بما يتناسب مع بيئتها وتتوافق مع أفكار وعادات الشعب والعصر الذي وُجدت فيه لتشكل ثقافته ، وتصل حاضر الإنسان بماضيه وتساعده على معرفة تاريخ كثيرا ما نَجُد الأساطير تحتوي على مظاهر و سلوكيات غير عقلانية وغير مبررة وهذا راجع لامتزاجها بالخيال، و قد تعبر أحيانا عن مشاعر وأحاسيس و مواقف إنسانية، ويُوجد كلّ شعب أساطيره الخاصّة بناء على مخيّلته الخصبة أو انطلاقا من وقائع تمّ اسطرتها « **نكاد نُجمع على أنّ الأسطورة عندنا اليوم لا تخرج عن كونها قصّة خيالية قوامها الخوارق والأعاجيب التي لم تقع في التّاريخ ولا يتقبّلها العقل، حتى أنّنا عندما نريد أن تنفي وجود شيء نقول إنّه أسطوري»**[2].والأسطورة تروي أحاديث لا تمت للواقع بصلة فهي صنيعة خيال الإنسان الذي يهرب به من واقعه المعاش الذي يفرضه المجتمع عليه فيستطيع تكوين فكر جديد بما يوافق أفكاره .

إنّ الأهمية البالغة للأسطورة في حياة الشعوب أو بالأخّص في تحديد تاريخها ومعرفة تراثها فالأساطير أهم أعمدة التراث ؛ هذا ما جعل العلماء يقفون أمام صعوبة تحديد مفهوم واحد وشامل للأسطورة ؛ وهذا ما أشار إليه " الياد مرسيا "حين

[1]– سيّد القمني ،الأسطورة والتّراث، المركز المصري لبحوث الحضارة، الطبعة الثالثة، القاهرة، 1999، ص 24

[2]– أحمد كمال زكي، الأساطير، دار الكتاب العربي للطباعة والنّشر، القاهرة، ص 35

طرح تساؤل حول تحديد مفهوم واحد شامل للأسطورة «**لعلّ من الصعب إيجادُ تعريف للأسطورة يقبله جميع العلماء ويكون في نفس الوقت في متناول غير أصحاب الاختصاص، ولعلّنا نتساءل من ناحية أخرى، هل يمكن إيجاد تعريف (واحد)شامل لجميع نماذج الأساطير وجميع وظائفها في جميع المجتمعات القديمة والتقليدية ؟ الأسطورة واقعة ثقافية بالغة التّعقيد**»[1]. إنّ العسر في تحديد مفهوم شامل للأسطورة يَكْمنُ في كونها ظاهرة ثقافية بالغة التعقيد إذ يمكن لنا دراستها وتفسيرها من عدة نظريات مختلفة ؛ كما إن اختلاف الثقافات فلكل مجتمع ثقافته وأساطيره التي تعبر عنه جعلت من الأساطير محل اختلاف ؛ فبغض المجتمعات ترى أن أساطيرها وقائع حقيقة وليست مجموعة قصص خيالية .

ولقد رأى "إلياد مرسيا" أنّ التّعريف الذي يكون شاملا للأسطورة وواسعا على الرغم من نقصه هو التّعريف التالي «**الأسطورة تروي تاريخيا مقدّسا، تروي حدثا جرى في الزمن البدئي، الزمن الخيالي، هو زمن البدايات بعبارة أخرى، تحكي لنا الأسطورة كيف حالت حقيقة ما إلى الوجود، بفضل مآثر اقترحتها الكائنات العليا، لا فرق بين أن تكون هذه الحقيقة كلّية الكون cosmos مثلا، أو جزئية كأن تكون جزيرة أو نوعا من نبات أو مسلكا يسلكه الإنسان أو مؤسّسة**»[2]. فالأساطير بنى ثقافية لها خَلفية تاريخية تسرد قصصا تتميّز بالقُدسية ؛حول عادات الشعوب البدائية ؛ فهي تسجيل لأحداث خيالية في الماضي تصف سرّ الوجود وأصل الأشياء والموجودات وتقوم بتجسيد أحداثها شخصياتٌ رمزية كائنات ما ورائية ؛وتشمل جميع جزئيات الكون بأدق تفاصيله دون إهمال أيّة جزئية من جزئياته.

---

[1]– إلياد مرسيا، مظاهر الأسطورة، ترجمة نهاد خياطة، دار كنعان للدّراسات والنّشر، ص 10

[2]– المرجع نفسه، ص 10

كما تسعى الأساطير إلى تفسير أصل وجود الإنسان فتروي حقيقة وجوده، بالإضافة إلى شرح سرّ الكون ووظيفة الحيوانات؛ ومن خلالها يمكن إدراك العالم والعلّة من وجود الكون ؛ وقد أشار "مرسيا إلياد " إلى ذلك إلّا أنَّه رأى أنّ الأسطورة لا تقف فقط على تفسير حقيقة وجود الإنسان والكون، حيث ذهب إلى أنّ ا أسطورة «لا **تحكي لنا...أصل العالم والحيوان والإنسان وحسب بل تحكي لنا أيضا جميع الحوادث البدائية التي على إثرها أصبح الإنسان على ما هو عليه اليوم ؛أي كائنا فانيا، ذكرا أو أنثى ،عضوا في جماعة مجبورة أن يعيش، ويعمل وفق قواعد معينة ، فلأن الكائنات العليا أبدت عن فعالية مبدعة في ((البدايات))»1. وهكذا** لا تقتصر الأساطير على تفسير أصل الإنسان فقط بل تقوم بتفسير الظّواهر المحيطة به كالفَناء والخلود وتحدد العلاقة الموجودة بين الكون والإنسان وتصف سلوكه و تصرفاته وأخلاقه وعلاقته بالمجتمع وتبرز الجانب الخفي من المجتمعات و ما بها من ظواهر فهي محاولة لفهم ظواهر الكون المتعددة تقوم الآلهة بتجسيد أدوار الأسطورة بالإضافة إلى الكائنات الماورائية .

إنّ صعوبة الوصول إلى تعريف شامل متّفق عليه للأسطورة؛ يجعلنا نقف أمام خلط بين الأسطورة وباقي الأجناس الأدبية وكيفية التّمييز بينها وبين باقي الأجناس من قصة ملحمية والخرافة والقصة الشعبية وقد ذكر "فراس السواح " أنّ للنّص الأسطوري خصائص تميزه عن غيّره من الأجناس الأدبية فيرى أنّها «**من حيث الشكل، قصة وتحكمها مبادئ السرد القصصي من حبكة وعقدة وشخصيات ، وغالبا ما تجري أحداثها في قالب شعري يُساعد على ترتيليها في المناسبات الطقسية وتداولها شفاهه كما يزودها سلطان العواطف والقلوب التي لا يتمتّع بها**

[1]–مرسيا إلياد، مظاهر الأسطورة، ترجمة نهاد خياطة دار كنعان لدراسات والنشر، والتوزيع، ص 14

به النص النثري»[1]. فالأسطورة من حيث الشكل قص تتمتّع بمبادئ السرد القصصي فتحتوي على حبكة وعقدة وشخصيات، تصاغ في قالب شعري في كثير من الأحيان ما يسهل ترتيبها وتداولها مشافهة بين الأفراد وعبر الأجيال كما يزوّدها القالب الشعري بالعواطف والأحاسيس فالشعر يخاطب الوجدان ويحرك العواطف والقلوب هذا ما لا نجده في النّص النّثري، وما يُميّز أيضا لأسطورة عن القصة أنّ شخصيات الأسطورة تكون عبارة عن آلهة أو أنصاف الآلهة وهي ليست صنعا خياليا فرديا، بل صنع الخيال الجماعي.

ولقد لعبت الأساطير دورا مهمّا في تشكل الفكر الإنساني وثقافة المجتمعات فهي جزءٌ لا يتجزأ من بنية المجتمع، فالأساطير هي الأداة التي لجأ إليها الإنسان البِدائي من أجل الإجابة عن أسئلته حول نفسه وما يحيط به من ظواهر طبيعية والوصول إلى حقيقة الأشياء من حوله؛ فاستطاعت الأساطير إشباع فضول الإنسان البدائي حيث قدمت له تفسيرات لظواهر الطبيعية وإن امتزجت بالخيال في كثير من الأحيان لتكون الأساطير بذلك أحد أشكال المعرفة القديمة كونها قدمت الشرح الوافي لكثير من الأمور الغَامِضّة التي سعى الإنسان البدائي فَهمها وفَكِ شفَراتها ونجد أنّ "فراس السواح" قد أشّار إلى هذه الفكرة حين قال: **«والحقيقة فإن كلّا من الفلسفة والعلم،واللّذان وُلدا من رحم الأسطورة يقوم بالمهمة نفسها أي لا تزال تجربتنا مع العالم وتقديمه إلى الوعي وقد تمّ تفسيره وترتيبه، ولكن بينما يلجأ العلم والفلسفة إلى العقل التّحليلي الذي يُجزئ العالم ثم يعيد تركيبه من أجل فهمه، معتمدا في ذلك على الاختيار والبرهان (العقلي عند الفلسفة والتجريبي عند العلم) فإنّ الأسطورة تضع الإنسان بكليته في مواجهة العالم ، وبجميع ملكاته العقلية**

[1]– فراس السواح، الأسطورة والمعنى لدراسات الميثولوجيا والدّيانات المشرقية، دار علاء الدين للنشر والتوزيع،دمشق979، صفحة 12

والحدسية، الشعور واللّاشعور، وتستخدم كل المجالات الممكنة من أجل تقديم رؤية متكاملة لهذا العالم، ذات طابع كلاني يعادل تجربة الإنسان الكلانية وغير التّجزئة معه»1. فكانت الأساطير الخطوة الأولى نحو المعرفة حيْث سبقت الفلسفة والعلم في تفسير الظواهر وتعليلها؛ وتشترك معهم في تحقيق مطالب الإنسان وتقديم شروحات للظواهر والأحداث الغامضة و الوصول إلى سر الكون ، إلّا أنّ الفلسفة والعلم يختلفان عن الأسطورة في طريقة التفسير والتحليل فالفلسفة تعتمد على العقل أو المنطق و العلم يعتمد على البرهان الحسي التجريبي ؛ أما الأساطير فتقوم بشرح وتوضيح الظواهر الطبيعية معتمدة على العقل والحس معا و الشعور واللاشعور. كما أنها تدرس الظواهر دراسة كلية لا جزئية .

ويرى "سيد القمني " أنّ الأساطير ليست مجرد قصص خيالية وتصورات فهي تحتوي على حقائق وأحداث حقيقية جَرت في الزمن الماضي وتنقل لنا الأساطير هذه الحقائق فكتب : **«(...)يمكننا المجازفة بالقول :أنّ الأسطورة وإن اشتملت على احلام وانفعالات وتصورات وأخيلة فإنها اشتملت أيضا على حقائق يمكن أن تنكشف بوضوح إذا عرفنا كيف نفسها بعد ربطها بشروطها التاريخي ومكانها في النسق المعرفي، وقد دعمنا تلك الرؤية بما كشفنا عنه في كتابنا () وكيف عبر المصريون زمانها عن تحولهم التاريخي بأسطورة، بل وغيروا واقعهم الاجتماعي والسياسي بأيديولوجيا تمت صياغتها لتحقيق أهداف ذلك التغيير في صياغة أسطورية...»**[2]فقد ذهب إلى أنّ الأسطورة قد تجمع بين الحقيقة والخيال معا فهي تحتوي على عنصر الحقيقة الذي يتمّ اكتشافه ما إنْ قمنا بتحليلها وربطها بشروط

---

[1]المصدر نفسه صفحة20

[2]_سيد القمني، الأسطورة والتراث ، المركز المصري لبحوث الحضارة المصرية ، الطبعة الثالثة ، القاهرة 1999، ص26/25

تاريخية والأساطير تنقل لنا تاريخ شعب ما وثقافتهم. وقد ضرب مثلا عن الشعب المصري وكيف استطاع أن يُغير من واقعه بفضل الأساطير التي تروي تاريخهم وثقافتهم القديمة ؛ فالأساطير تغذي المجتمعات والثّقافات كونها حقيقة إنسانية مشتركة ونتاج جماعي ، كما يرى" سيد القمني "أنّه لا يكمن دراسة التاريخ القديم دون العودة للأسطورة وأوضح ذلك بقوله «**إنّ قراءة التاريخ القديم دون الأسطورة ، أمر غير تام العملية باحتسابنا الأسطورة السجل الأمثل للفكر وواقعه في المراحل الابتدائية ، عندما كان يحاول تفسير الوجود من حوله ، قراءة الواقع الاجتماعي وتغييره ، هذا بالطبع ما تنقله لنا الأسطورة من بصمات وانطباعات النفس الجماعية عليها ، ونقول جماعية لأنّ الأسطورة لا يمكن لأحد أنْ يدعي حقّ تأليفها ، فهي مجهولة الأصل و المؤلف –بل وأحياناً_ المنشأ والتاريخ ناهيك عن كونها ثقافة أجيال متعاقبة**»[1]. فالأساطير هي ذاكرة المجتمعات تنقل لنا تاريخ الشعوب وثقافتهم وتصرفاتهم وحياتهم فهي نتاج جماعي ؛ لذلك هي تنقل لنا انطباعات وتصوّرات مجتمع وليس فرد فهي من صنع مخيلة جماعة وليس شخص كما أنها تتناقل عبر الأجيال من أجل تعريفهم بثقافتهم وكيفية تفكير الأقدمين .

سعى الإنسان البدائي من أجل التّكيف مع بيئته وما يحيط به من ظواهر طبيعية؛ وإشباعُ ضوله حول حقيقته و حقيقة الاشياء من حوله فكانت الأساطير هي الوسيلة التي استطاع بها الإجابة عن أسئلته ؛ فكان لها دور مهم في تشكل الثقافات لدي الشعوب وساعدت على تكوين البنى الاجتماعية لدى الإنسان البدائي، وقد حدّد "شمس الدّين الكيلاني" وظيفة الأساطير :«**الأسطورة كانت بمثابة النظرية الشمولية التي تحيط بجميع الفعاليات الذهنية للمجتمع البدائي، وكالرئة التي يتنفس منها،**

[1]سيد القمني، الأسطورة والتراث ، المركز المصري لبحوث الحضارة المصرية ، الطبعة الثالثة ، القاهرة 1999 ص20

تشكل البنية الذهنية لذلك المجتمع، وتقف كالنّاظم المعياري الذي يتحكّم بمجمل السلوك الاجتماعي، وتصوّرات الجماعة لمعاشها ولأسلوب علاقاتها، وتنظم تمسكها وتُعطي تفسيرها لأصل العالم؛ والجماعة والقبيلة، فتذكر الأحياء بذكرى الأجداد والأبطال»1. لقد شكّلت الأساطير البنى الذهنية للمجتمعات حيث صورت جميع الفعاليات الذهنية للمجتمعات خاصة وأنها نتاج اجتماعي لا فردي فنقلت لنا طريقة تفكير المجتمعات البدائية فهي بمثابة سجلّ للإنسان البدائي، تكشف عن طريقة تفكيره، وتصور طريقة حياتهم وعلاقة الإنسان بالإنسان وكذا علاقته بمجتمعة والطبيعة من حوله ، كما قامت بتفسير الحوادث والوقائع وتعليلها والكشف عن حقيقة الأعمال التي يقوم بها ، كما أنّ الأساطير تُعين الإنسان على معرفة تاريخه وتذكّره بأسلافه .

واعتبر " مرسيا إلياد " الأسطورة نموذج مثالي خاصة وأن الكائنات الماورائية هي من تجسد أدوارها وتظهر قواها ونشاطاتها المقدسة التي تفوق قدرات الإنسان والتي وصفها بالقدسية؛ وتحمل معاني متعددة ودالة «**وما دامت الأسطورة تحكي عن سلوك الكائنات التي تفوق الطبيعة و تجليات قواهم المقدسة فإنها تصبح النموذج المثالي لكل النشاطات البشرية الدّالة»2.** تحمل الأساطير دلالات ومعاني وقيم جعل منها نموذج مثالي لكل النشاطات الإنسانية.

تعدُّ الأساطير أقدم أشكال المعرفة ومصدر لجميع المعارف الإنسانية فهي أقدم صور التفكير وتلعب دورا مهم في حياة الأمم فهي تربط حاضرهم بماضيهم و تصوير ثقافتهم وتثبيت كيانهم الاجتماعي؛ وترتبط الأسطورة بجميع أشكال المعرفة

---

[1] ين الكيلاني : من العود الأبدي إلى الوعي التاريخي "الأسطورة ،الدين ،الإيديولوجيا ،العلم " ،الطبعة الأولى ،1998،دار الكنوز الأدبية ،بيروت ،لبنان ،ص 15

[2] _ مرسيا إلياد ، مجلة العرب و الفكر العالمي صفحة 81

ويرى "فاروق خورشيد" أنّ الأسطورة هي من حررت الفكر الإنساني فيقول«**من الأسطورة تسربت ألوان الأدب ومنها تحرر فكر الإنسان ليخلق مختلف أشكال الأدب (...) فالبشرية لم تعرف أقدم ولا أعرق من الأسطورة لتحكي أحلامها وآمالها، وترسم دنياها المليئة بالتطلع والشادية إلى المعرفة (...) ومن هنا كانت الأسطورة في البدء منبع الإلهام الأدبي»1**.الأسطورة منبع لكل مبدع فهي تمد الفكر الإنساني برؤى جديدة تساعده على الابتكار والإبداع فهي أعرق أشكال التّفكير ساعدت البشرية على الترويح عما يجول في خاطرها من أفكار وأحاسيس ؛ كما أنها قدمت الإجابات الأسئلة التي كانت تجول في ذهنه؛ ونجد أن للأسطورة صلة بالأدب فنجد أن الكثير من الأدباء والشعراء قد وظّفوا الأساطير في أدبهم فهي قابلة لتوظيف الأدبي فأثرت الأدب وأمدته برؤى جديدة و أسهمت في تنوع الأدب ووسعت مخيلة الأديب والشاعر ؛ وأشار "محمد عبد الرحمان يونس" للفكرة نفسها «**أمدّت الأسطورة الأدب برؤى جديدة وأثرت أجناسه كافة وعملت على توسيع آفاق المخيلة الشعرية»2.** الأساطير وثيقة الصلة بالأدب فكلاهما يعبر عن المجتمع و يُساعد الإنسان عن التّعبير عما يجول في خاطره ؛ إذ أنّ الأدب هو المرآة العاكسة المجتمع والأسطورة تصوير للمجتمعات والثقافات القديمة .

[1]– فاروق خورشيد : أديب الأسطورة عند العرب _جذور التفكير وأصالة الإبداع ، صفحة 21

[2]محمد عبد الرحمن يونس : الأسطورة ،مصدرها وبعض المظاهر السلبية في توظيفها ،الألمعية للنشر والتوزيع ، الطبعة الاولي 2014 ، عين الباي قسنطينة ،الجزائر ،صفحة 82

المبحث الثاني: الأدب اللّيبي تاريخُه وخصوصياته الفنية

إنّ نشأة الرواية العربية جاءت متأخرة في العالم العربي عموما وفي المغرب العربي خصوصا وقد ظهرت الرواية نتيجة التأثر بالغرب فالرواية جنس أدبي مقتبس من الغرب أو متأثر بالرواية الغربية وهذا ما نقله "صالح مفقودة" في كتابه " أبحاث في الرواية العربية" «**يرى بطرس حلّاق أنّه لا يختلف اثنان في أن الرواية العربية نشأت في العصر الحديث فناً مقتبسا من الغرب أو متأثر به تأثرت شديدا**»[1] . تُعد الرواية جنس أدبي حديث في الأدب العربي فلم يعرف العرب قديما فن الرواية على الرغم من فصاحتهم وقدرتهم على الابداع خاصة في الشعر وقد يعود ذلك إلى طبيعة البيئة العربية

وتعد رواية زينب التي كتبها المصري " أحمد حسين هيكل" والتي وسمها في البداية بـ " مناظر وأخلاق ريفية " بقلم فلاح مصري أول رواية في لأدب العربي الحديث .

وقد تأخر ظهور الرواية في المغرب العربي مقارنة المشرق العربي وقد يكون ذلك نتيجة الاستعمار والظروف الاجتماعية والسياسية في المغرب العربي. إلا أنّ تطور الرواية كان سريعا في المغرب العربي.

لقد تأخر ظهور الرواية في ليبيا كثيرا نتيجة ظروف اجتماعية وسياسية، كان يعيشها الشعب الليبي و«**تعود باكورة الإنتاج الروائي الليبي إلى أوائل حقبة الستينيات من القرن العشرين ، إذ يمكن تلمس بدايات الاحتراف الروائي انطلاقا من روايتي "اِعترافات إنسان" للكاتب "محمد فريد سيالة"، ورواية "أقوى من الحرب"**

[1]– صالح مفقودة ،أبحاث في الرواية العربية ،مخبر أبحاث في اللغة العربية والأدب الجزائري، مكتبة لسان العرب ،ص14

للكاتب "محمد علي عمر 1961م ، وقبل هذه الحقبة كانت الحياة الأدبية في ليبيا قد تأثرت، شأنها في ذلك شأن الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية، بظروف الوجود الاستعماري الذي سبق له أن فرض أوضاعا قاهرة على المجتمع الليبي آنذاك، الأمر الذي وجه الاهتمام الشعبي نحو المقاومة والجهاد ضد المستعمرين الإيطاليين لنيل الحرية والاستقلال»[1]. إنّ المرحلة الصعبة التي عاشها الشعب الليبي كانت سببا في ركود إنتاجه الأدبي والفني ؛ فقد انشغل الشعب الليبي في محاربة الاستعمار من أجل نيل الحرية ، كما عانى الشعب الليبي من العزلة الثقافية التي فرضها الاحتلال الايطالي، حيث أبعد الاحتلال ليبيا عن العالم وأغلق كلّ حدودها، فلم يكن للشعب اللّيبي علاقات خارج ليبيا، والرواية جنس أدبي يبنى على المثاقفة والاختلاط مع ثقافات الغير ونصوصهم .

بالإضافة إلى ذلك الأوضاع الاجتماعية المزرية التي عاشها الشعب الليبي من فقر وجوع وجفاف وانتشار الأمراض والأوبئة، فلجأ الكثيرون إلى الهجرة من أجل الاستقرار والأمن؛ وقد رأى"**بشير أحمد علي جلالة**" أنّ أول رواية ليبية هي "اعترافات إنسان" للكاتب " محمد فريد سيالة"، التي افتتح بها الأدب اللّيبي باللّغة العربية.

شهدت ليبيا استقرارا سياسياً في ثمانينيات القرن العشرين، ما زاد تدفق الإنتاج الأدبي والفني وتطور الحركة الثقافية، فأنتج الأدباء اللّيبيون العديد من الأعمال الروائية، التي نالت مكانتها في العالم العربي، وبرزت باعتبارها نصوصا راقية تدلّ على نضج الكتّاب وقدراتهم الفنّية والإبداعية في الإنتاج الأدبي، حيث «**صدر أكثر**

[1]– بشير أحمد علي جلالة، الأسطورة والمكان في أدب إبراهيم الكوني، رسالة مقدّمة لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللّغة العربية وآدابها، إشراف إبراهيم خليل، كلّية الدّراسات العليا، الجامعة الأردنية، 2008،ص6/5

من اِثنتي عشرة رواية ليبية، وتصّدر هذه الحقبة كتّاب وروائيون أمثال "محمد أحمد الفقيه" صاحب رواية "حقول الرماد "، و"سالم الهنداوي" مؤلف رواية "الطاحونة"، و "الصادق النيهوم" مؤلف رواية "القرود والحيوانات " و" نادرة العويتي "صاحبة رواية "المرأة التي اِستنطقت الطبيعة" وغيرهم، وقد أسهم هؤلاء دون شكّ في دفع الرواية الليبية نحو الرواية الجديدة، كما أسهموا في تخليصها من جزء من حالة الضعف الفنيّ الذي شكل معظلة رئيسية لها، وبشروا بمرحلة نهوض واعدة لرواية الليبية، ومما يجدر ذِكرُه أنَّ هذه الحقبة شهدت الانطلاقة الروائية للكَاتِب ابراهيم الكوني ، ففيها أصدر رباعيته المشهورة "الخسوف" بأجزائها الأربعة ...».[1] إنّ بروز أسماء عديدة في مجال الرواية الليبية أمثال " محمد أحمد الفقيه" و" سالم الهنداوي وإصدارهم لعدد هائل من الروايات دفع الرواية الليبية إلى مصار الرواية العربية ، وقاموا بإخراج الأدب الليبي من حالة الضعف والعجز التي عرفها قبل هذه الفترة وبشروا بازدهار الرواية الليبية بعد الركود الذي عرفته ، وقد عرفت هذه الحقبة ظهور الروائي "إبراهيم الكوني" والذي نقل الرواية الليبية إلى العالمية من خلال كتاباته التي أدهشت العالم وترجمت إلى عدّة لغات ونالت جوائز عالمية.

لقد عانت الرواية الليبية في بداياتها العديد من المشاكل التي منعتها من خروجها من المحلية فظلت الرواية الليّبية محصورة في قوقعة المحلية ولم تبرز أيّ مظهر من مظاهر الابداع والتطور وقد يرجع ذلك إلى الظروف التي عاشتها ليبيا وشعبها خاصة في فترة الاحتلال الايطالي و ما بعد الاحتلال وقد استطاع النّاقد السوري " سمر روحي الفيصل" في دراسة له أن يخلص إلى « **إلى العديد من المشكلات التي تعانيها مسيرة هذه الرواية ومنها ؛**

[1]– المرجع نفسه، ص 6

-الضعف الظاهر في بناء الشخصية الروائية

- **إيثَار الكتاب الأسلُوب الإنشائية والعُزوف عن اعتماد الأسلوب الخيري**
- **إهمال بناء الرواية الزماني والمكانية**
- **سطحية الصراع وضعف مصداقيته**
- **اِنصراف الرواية الليبية إلى الماضي وإهمال الحاضر»** [1]. ومن هنا يتضح لنا أنّ الرواية اللّيبية في بدايتها لم تجسد أي معلم من معالم الرواية العربية بل عانت الكثير من المشاكل فقد ظلت مسجونة داخل قوقعة التقليد؛ فلم تستطع تجسد الواقع الملموس وكانت عبارة عن تنميق لفظي وصبت اهتمامها حول قضايا الاحتلال دون الخروج منها ونصرف الروائيون عن الواقع وانغماسهم في الماضي وعزوفهم عن حاضرهم.

ويرى "عبد الحميد عقار " أنّ«**منذ1961 تاريخ صدور أول عمل يحمل اسم الرواية بعنوان " اعترافات إنسان" لـ "محمد سيالة ، إلا منتصف الثمانينات صدرت عدّة نصوص نشرها مؤلفيها باعتبارها روايات غير أنها توصف في الغالب؛ عدا نزعة التقليد الطاغية عليها ؛ بالفقر الواضح في مستويات أبنيتها وتخيلاتها**»[2] إنّ الرواية الليبية لم تحمل أي معالم الرواية فلم تكن تحمل من الرواية غير الاسم بالإضافة إلى التقليد فهي صورة عن الرواية المشرقية لم تحمل أي ابداع أو خلق في

[1] بشير أحمد جلالة، الأسطورة والمكان في أدب إبراهيم الكوني، قدمت هذه الرسالة مقدمة للحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، إشراف إبراهيم خليل ،كلية الدراسات العليا الجامعة الأردنية ،آب2008، ص7

[2] عبد الحميد عقّار؛ الرواية المغاربية تحوّلات اللّغة والخطاب ؛ شركة النشر والتوزيع المدارس ، الدار البيضاء، الطبعة الأولى ؛ص 22

السرد فكانت تعاني من فقر في المعاني وعدم القدرة على نسج أفكار خيالية وبقيت ولم يكن هناك خلق في الأفكار و لا تنوع ولم تخرج عن كونها نسخة مقلّدة.

إلا أنّ هذا الفقر لم يدم طويلا فقد حاول بعض الروائيين إخراج الرواية الليبية من فوقعت التقليد والانحطاط ومحاولة الارتقاء بها إلى مسار جديد يفتح أمامها باب العالمية وذلك من خلال التجديد والبحث عن الآليات والتقنيات التي تمكن الرواية اللّيبية من الوصول إلى مكانة مميزة ومواكبة مسار الرواية العالمية وقد نجح هؤلاء الروائيين في تغيير مسار الرواية الليّبية، حيث «**شهدتتجديدا كبيرا إما على المستوى المضمون باستثمار التاريخ والتراث والأسطورة والعجائبي وغيرها من التقنيات والاليات التي عبرت عن حداثة الرواية ، وإمّا بالتركيز على حرق المحظور الدينيوسياسي الأخلاقي ، واستعراض بعض الطابوهات لاسيما ما تعلق بالثلاثي: الدّين، الجنس، السياسة.**»[1]. فقد شهدت الرواية الليبية في المرحلة الأخيرة نضجاً في الكتابة وذلك بسلوكها مسلك التجديد لتواكب أحداث العصر ومحاولة إثبات هويتها كرواية لها خصوصيتها الفنية بعيدا عن كونها صورة مقلدة عن الرواية المشرقية ؛ من خلال التجديد في مضمونها وذلك باستثمار التراث والتاريخ وتوظيف الأساطير وهذه العناصر هي من جعلت الرواية الليبية تنتقل من الرواية التقليدية إلى الرواية التجريبية من خلال التماهي في الواقع وتحليل الرموز والتراث الليبي ، والكشف عن الثقافة الصحراوية الليبية وإخراجها من عزلتها، ويعتبر "عبد الحميد عقار" أنّ معالم الرواية الليبية الحديثة ظهر وتمثلت في رواية "حقول الرماد " للروائي "أحمد الفقيه " و" إبراهيم الكوني" فكتب قائلا « **تمثل رواية "حقول**

[1] لحرس حفيظة، متاهة السنن في الرواية المغاربية المعاصرة ، "إبراهيم الكوني_أنموذجا"، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في اللّغة والأدب العربي، إشراف منصوري مصطفى، جامعة جيلالي ليابس سيدي بلعباس، الجزائر 2018/2017، ص 41

الرماد " 1985 "أحمد الفقيه ؛ استثناء إلى حدود هذا التاريخ تقريبا إنها البداية الناضجة والمكتملة لرواية فهي تتميز بطول نفسها القصصي الحكم والبناء والحبْك ، بدرامية البناء ومشهديه في مستوى الحدث والسرد ؛ وبتنوع الشخصيات وتنوع علاقاتها وقدرتها على تجسيد الخيال لتراتبية الهرم الاجتماعي في ليبيا ،وتتميز اللغة فيها ببذور توجه عجائبي خرافي وتواصل الرواية الليبية بعد هذا النص تطورها بل وتجريبها وخاصة من خلال روايات، "إبراهيم الكوني" في خماسيته»[1]. استطاعت الرواية الليبية مواكبة الرواية الحديثة بعد فترة الضعف الذي عرفته وظلت تتخبط فيه نتيجة ظروف وعومل سياسية واجتماعية ، من خلال التجديد فتميزت بطول نفسها القصصي واحتوائها على عناصر الرواية واستخدام المشاهد السردية وعدم الاكتفاء بنقل الأحداث والوقائع بل أضافت لها عنصر التشويق وخلق علاقات عديدة بين شخصيات الرواية وتعدد الاصوات داخل الرواية الواحدة وتوظيف عنصر الخيال والخرافة والأساطير؛ ويمكننا القول أنّ الكوني هو من استطاع نقل الرواية الليبية من محليتها إلى العالم من خلال مؤلفاته وتوظيفه للتراث المحلي فتعلقه بوطنه جعله يرسم صورة واضحة المعالم لعالم كان مجهولاً، وذلك من خلال إبراز تراثها ونقل أساطيرها وقد حظيت الأساطير باهتمام كبير في الرواية العربية عامة وفي الرواية الليبية خاصة، بالنظر إلى كثرة الأعمال الفنية والإبداعية التي تناولتها ، حيث قام الروائيون بإعادة بناء الأساطير في رواياتهم واستحضارها باعتبارها عنصر من عناصر التراث المهم ؛ ونجد أنّ " الكوني " وظف الأساطير في كل رواياته ؛ لم يقف "الكوني "على سرد الأحداث ولا بحياة

[1] لحرس حفيظة، متاهة السنن في الرواية المغاربية المعاصرة ، "إبراهيم الكوني_أنموذجا"، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في اللّغة والأدب العربي، إشراف منصوري مصطفى، جامعة جيلالي ليابس سيدي بلعباس، الجزائر 2018/2017،ص 22

المدينة والترف بل قام بتفسير رموز الصحراء وقف على حياة أهلها ، ونقل ثقافتها إلى العالم واستطاع بذلك نقل الرواية الليبية من المحلية إلي العالم العربي والغربي وأخرجها من كونها مجرد رواية محلية ؛ ووضع لها مكان في المحافل الدولية .

الفصل الثاني؛ الأسطورة في كتابات إبراهيم الكوني

المبحث الأوّل؛ إبراهيم الكوني؛ ومكانتُه في الأدب العربي

المبحث الثاني؛ توظيف الأسطورة في رواية "من أساطير الصحراء"

المبحث الأوّل؛ إبراهيم الكوني؛ ومكانته في الأدب العربي

أوّلا؛ الكوني وسيرة الرواية

يُعدُّ الكاتب اللّيبي "إبراهيم الكوني" أحد أهمّ الروائيّين العرب المعاصرين، فقد برز من خلال كتاباته الفريدة ونصوصه ذات القيمة الأدبية الراقية، فقد ألّف في مجال الرواية وبرع فيها شكلا ومضمونا، وكانت له طريقته الخاصّة في الكتابة، اختلف بها عن غيره من الروائيّين اللّيبيّين والعرب، وقد جاءت سيرته الذّاتية في عدد قليل من الكتب، وعلى الرغم من ذلك يُمكننا صياغة سيرته الشخصية والعلمية والإبداعية بناء على ذلك النّزر القليل المتحصّل عليه، حيث جاء فيها أنّه «**روائيٌّ وقاص ليبي مرموق، وُلد بالحمادة الحمراء، وبها نشأ وتلقى تعليمه حتى أنها المرحلة الثانوية، ثم انتقل إلى موسكو وحصل على الماجستير في الآداب من معهد جوركي الآداب العالمية عام 1977. عاد إلى ليبيا وعمل بوزارة الشؤون الاجتماعية بمدينة سبها، ثم انتقل للعمل بوزارة الإعلام، ثم مراسلا لوكالة الأنباء الليبية بموسكو عام 1975. وفي عام 1978عمل مندوبا لجمعية الصداقة الليبية في وارسو في العام نفسه. وفي عام 1981 رأس تحرير مجلة الصداقة البولونية. وفي عام 1987عين مستشارا ثقافيا بالسفارة الليبية في موسكو وظل بها حتى عام 1992حين عين مستشارا إعلامياً بالمكتب الشعبي الليبي في سويسرا**»[1].فهو روائي وكاتب قصة مرموق، ذو مكانة إبداعية هامّة ليس في الادب اللّيبي بل في الأدب العربي بصفة عامّة، ولد في مدينة ليبية تقع في الصحراء ، حيث تربّى فيها ونال حظه من التّعلّم؛ ثم انتقل إلى موسكو ليكمل تعليمه وتحصل على شهادة

[1] مهدي السكوت :قاموس الأدب العربي الحديث ،طبعة جديدة مزيدة ومحدّثة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، صفحة 27

الماجستير في الآداب سنة 1977؛ ثم عاد إلى ليبيا وشغل عدّة مناصب من بينها ؛ وزارة الشؤون الاجتماعية ثم انتقل إلى وزارة الإعلام ؛ ليعمل بعدها مستشارا ثقافيا بالسفارة الليبية في موسكو؛ وظل بسويسرا حيث عين مستشارا إعلاميا بالمكتب الشعبي في سويسرا.

كتب "الكوني" العديد من المؤلفات ما بين القصة والرواية؛ وقد نَالت مؤلفاته اهتماما كبيرا وذاع صيتها داخل ليبيا وخارجها حيث تمت ترجمتها إلى عدّة لغات؛ نتيجة إبداعه، حيث « **نشر الكوني نتاجه الأدبي في الكثير من الصحف والمجلات المحلية والدولية مثل ((فزان))،((ليبيا الحديثة))، ((الفجر الجديد))،((الأسبوع الثقافي)) ،((بيروت المساء))،((الكفاح العربي))،((الصداقة البولونية)).فقد غلب على نتاج الكوني الإبداع الروائي حيث أصدر عدداً كبيراً من الروايات، من بينها: "نزيف الحجر"(1987)،و "الخسوف" رباعية (1989)،"والمجوس " جزءان(1991) والسحرة" جزءان (1994) "وفتنة الزوان ثنائية (1995)، و "الفم" (1996) (...)أما مجموعاته القصصية فمنها :" الصلاة خارج نطاق الأوقات الخمسة "(1974)، "جرعة من دم "(1982) ،"شجرة الرام "(1986)، القفص (1990)،(...)»**[1]. إنّ شَغف "الكوني" بالكتابة جعله يبدع في مؤلفاته ليبرز اسمه في قائمة أهمّ الروائيين العالميين؛ نشر مؤلفاته في العديد من الصحف والمجلات وكتب العديد من النّصوص التي تدلّ على قدراته في الكتابة والإبداع، حيث تنوع إنتاج "الكوني" بين القصة والرواية إلا أنّه صَب اهتمامه على الرواية فأنتج العديد من الروايات مقابل القصة ومن بين الروايات التي ألفها ؛ "نزيف الحجر" ؛ " المجوس"

[1] محمدي السكوت :قاموس الأدب العربي الحديث ،طبعة جديدة مزيدة ومحدّثة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ص 27

والعديد من الروايات ؛ أما فيما يخص القصة نجد "الصلاة خارج نطاق الأوقات الخمسة"؛ "جرعة دم" وغيرها من القصص.

إنّ طريقة الكوني الخاصّة في الكتابة هي التي ميّزته عن غيره من الروائيين والأدباء المعاصرين ؛ فللكوني أسلوب خاصّ ومُميّز في الكتابة جعله يحصد العديد من الجوائز العربية والغربية حيث«**حصل الكوني على عدد من الجوائز، منها جائزة الدولة السويسرية1995، جائزة التضامن الفرنسية مع الشعوب الأجنبية 2002، وسام الفروسية الفرنسي 2006، جائزة ملتقى القاهرة الإبداع 2010**»[1].إنّ وصول كتابات " إبراهيم الكوني "ورَصْدها جوائز محلية و دولية ، لم تكن ضربة حظ أو وليدة صدفة بل نتيجة تميزه و إبداعه المنفرد؛ فقد نجح "الكوني " في استثمار تجربته الشخصية في مؤلفاته ،؛ وخلق عالَم روائي خّاص به واستطاع من خلاله ملامسة قلوب وعقول الناس.

بَدأت تجربة "الكوني" الإبداعية مع الكتابة في سبعينيات القرن العشرين فأنتج الكوني العديد من الروايات والقصص والمقالات التي أثارت اهتمام النقاد العرب والغرب المعاصرين ،خلال فترة قصيرة من نشرها، حيث «**ينتمي الروائي الليبي إبراهيم الكوني الذي تفتح عطاؤه الإبداعي منذ سبعينات القرن العشرين إلى جيل الروائيين العرب المعاصرين ولكنه وفي غضون عقد واحد أثار الاهتمام من حوله من لدن النقاد العرب، بدخوله في مغامرة الصحراء وعالمها السحري وكيمياء العلاقة التي تنشأ بين عناصرها من إنسان وحيوان وطبيعة صامتة ،واخرى حية مستثمرا جوانب من تاريخ الطوارق، سكنه البيداء، حكاياتهم وقصصهم؛**

[1] محمدي السكوت، قاموس الأدب العربي الحديث،ص28

ومكابدتاهم الممتدة لآلاف السنين»[1]. إنّ ما لفت اهتمام النقاد لروايات "الكوني " يعود إلى اهتمامه بالصحراء واستعمالها ورؤيته الخاصّة لها فقد ارتبط اسم "ابراهيم الكوني " بالصحراء ارتباطا وثيقا فالصحراء رمز متعدد الدلالات في روايات "الكوني" وما يميزه عن غيره من الروائيين العرب أنّ كل رواياته تدور حول الصحراء الواسعة و أهلها و قد نقل " الكوني" الثقافة الصحراوية وطريقة عيشهم، إذ إنّه و«**طول مسيرته الروائية الممتدّة لأكثر من ثلاثة عقود ظهر وكأنه نذر نفسة وأدبه من أجل شعبه إذ يكاد لسان حاله في رواياته جميعا يقول للقارئ: إني أخشى أن أبكي زوال شعبي. ولذا دفع الكوني إلى الذاكرة العربية مخيلة سردية جديدة وعالما بكرا لشعب قديم قدم الصحراء ذاتها، كاشفاً بفصاحة جديدة عن عالم منسي أو مجهول**»[2].إنّ حنين "الكوني" إلى وطنه وبيئته التي ولد وترعرع فيها فهو ابن الصحراء الذي فارقها مبكرا دفعه ليكون روائيا مُتميّز؛إذ جعل من بيئته الصحراوية موضوعا أولا ووحيدا لمؤلفاته وهذا ما يعكس مدى تعلقه بشعبه وتمسكه بثّقافته الصحراوية الأصيلة فاستطاع الكوني أنْ يَنقل الثقافة الصحراوية في كتاباته و يُغير رؤية العالم عن الصحراء وشعبها وهو الذي عاش في بيئة مناقضة تماما لبيئته.

ارتبط اسم "الكوني" بالصحراء ارتباطاً وثيقا فقد أخذّ الكوني من هذا الفضاء الواسع مُلهما له وتيمة وَسَم بها رواياته فلا نكاد نذكر "ابراهيم الكوني "إلا وتتبادر إلا

---

[1]بشير أحمد علي جلالة، الأسطورة والمكان في أدب إبراهيم الكوني، رسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، إشراف الدكتور إبراهيم خليل، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، آب 2008، ص4

6بشير أحمد علي جلالة، الأسطورة والمكان في أدب إبراهيم الكوني، رسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، إشراف الدكتور إبراهيم خليل، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، آب 2008،، ص 5

أذهاننا صورة الصحراء وأهلها وثقافتهم «**وقد انطلقت تجربة الكوني مع التراث المحلي الخاص بالقبائل الطوارق من بُعد مهم، وهو انخراطه في عملية التوظيف السردي لهذا التراث ، بما يتضمنه من عناصر ، ورموز شكلت فيها الأسطورة محورا أساسيا في العديد من رواياته**»[1]. إنّ ما ميّز روايات " الكوني" عن غيرها من الروايات هو توظيفه للتراث المحلي الخاص بشعبه ومجتمعه الطوارق دون أن يهمل أي جانب من جوانبه ؛ فقد تطرق "الكوني" إلى جميع جوانب حياة المجتمع الصحراوي وذكر طريقة عيشهم وطقوسهم وعاداتهم وحتى أنه صور طريقة تفكيرهم وذكر أساطيرهم التي تعبر عن تاريخهم وخاضرهم فالأساطير رمز من رموز التراث وهذا ما أكسب رواياته خصوصّيتها الفنية والسردية.

إنّ انفتاح "ابراهيم الكوني" على قضايا مهمة لم يتطرق إليها غيره من الروائيين أكسب رواياته خصوصيتها فقد تطرق "الكوني" لملم يسبقه إليه غيره ؛ فتمكن من تصوير مجتمع الطوارق وإبراز جوانب خفية من تراثهم وعاداتهم وفلسفتهم في الحياة و العلاقة التي تربطهم بالبيئة الصحراوية والحيوانات أراد أن« **يقدم للقارئ حزباً من فلسفته من خلال فكرة وحدة الكائنات ، والكوني نفسه أفصح عن هذه الفلسفة في حديثه حول دافعه لكتابة نزيف الحجر بقوله :**

لا أُفصح عن سرٍ إذا قلت أن الدافع كان حادثة صغيرة إذ وجدت أن لوحة من لوحات ما قبل التاريخ قد تعرضت للتخريب بطلقات نارية من بندقية أحد المغامرين ، فتذكرت في الحال الإبادة التي تعرضت لها أندر الحيوانات في العالم ، وأكثرها

[1]بشير أحمد علي جلالة، الأسطورة والمكان في أدب إبراهيم الكوني، رسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، إشراف الدكتور إبراهيم خليل، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، آب 2008،، ص 8

جمالاً وسحرا ، كالودان والغزال تذكرت أيضا تعويذة من التعاويذ الثلاث التي سلمتها إلى الصحراء قبل أن أهجرها وأذهب في رحلة المتعة إلى الواحات ، وما وراء الواحات إلى العالم، حيث الله، وحدة الكائنات، الحرية»[1].تعكس روايات "الكوني" مدى تعلقه بوطنه فكانت الصحراء الملهمة الأولى لهو منحت "الكوني" مخيّلة سردية واسعة ؛ قدّم " الكوني " من خلال رواياته صورة مفصلة عن الصحراء من خلال تأملاته العميقة ونجد أنّه بحث عن تاريخ أهل الصحراء وعن تراثها وفكّ شفرات الرموز والرسومات التي تم نحتها على جدران الكهوف والمغامرات الإنسان الصحراوي القديم ليثبت عراقة شعبه و مدى أصالته وكأنه يسعي من أجل أنْ تبقى الصحراء راسخة في ذاكرة العالم .

إنّ هجرة " الكوني" كانت أكبر دافع له ليؤلف رواياته وسببا في وصوله إلى العالمية؛ بالرغم من بعد "الكوني " عن وطنه الأم الذي ولد فيه ومجتمعه؛فقد عاش "الكوني" في مجتمع وثقافة مختلفة إلا أنه بقي يحمل وطنه في مخيلته وفيا للمكان الذي خرج منه متمسكا بثقافة مجتمعه مُحبا لأهله مولعٌ بكل ما يخصّ لبيئةالصحراوية إن تعلق "الكوني" الشديد بوطنه مكنه من أنْ يمنح للصحراء روحا جديدة فاستطاع الكشف عن فضاء واسع يكاد يكون مجهولاً لغير ابن الرمال وعرج به إلى العالمية وأفصح عن خفاياه وخبياه؛ وما يميّز "الكوني " عن غيره من الروائيين أنه نظرته للصحراء كانت نظرة عميقة استطاع من خلالها رصد كل ما بهذا الفضاء الواسع دون يُفلت أيَّ جزئية من جزئياتها ، ولعل ما يعكس مدى تعلقه بالصحراء وأهلها هو أنه« **كتب عددا من الأعمال الروائية الأدبية تزيد على الخمسين عملا ما بين رواية وقصة ونص نثري، وطرح فيها جميعا مضامين**

[1]المرجع نفسه، ص 12

وأفكار تفصح عن رؤيته لوظيفة الإبداع الأدبي .ويندهش القارئ لنصوص الكوني للرؤية الثقافية الواسعة التي اِمتلكها ووظفها في أعماله، فهو كاتب اِستطاع أن يمثل التجربة الإنسانية ، والتراث العالمي عن طريق التنوع الكبير في مصادر المقتبسات ، التي تتضمن أفكاراً فلسفية من الشرق والغرب، ومن التراث والأدب العربي والعالمي القديم و الحديث ، وأسهمت جميعها في تفتح مشروعه الروائي على المعرفة الإنسانية»[1]. إن ثقافة الكوني الواسعة ونظرته التأملية العميقة جعلت منه روائياً فذ؛ وقد تعود ثقافته الواسعة إلى تنوع البيئات التي عاش فيها "الكوني" وتجربته الشخصية التي صنع منها كما هائلا من الأعمال الأدبية التي لقيت اهتماما كبيرا من طرف النقاد العرب والغرب ويرجع ذلك ما تحتويه في طياتها من تجارب إنسانية وتراث وثقافات متنوعة تفتح الأفاق أمام القارئ لتعرف على عالم وثقافة وتراث يختلف كل الاختلاف عن عالمه وثقافته وأفكار جديدة ؛ ويتسم نتاج الكوني **«بالعمق وتعدّد مستويات الدلالة والتركيب الكثيف والتّنويع ما بين الواقعية والواقعية السحرية والأسطورية والرمزية مما يكسب العمل عمقا وثراء دلاليا يحتاج لقراءته مرات عديدة، ولعل المكان الصحراوي الذي يلعب دور البطولة في أعمال الكوني يكون أحد أسباب احتياج أعمال الكوني قراءة المتعددة المتعمّقة؛ ذلك أن الكوني قد اهتمّ بالصحراء اللّيبية ولا سيما في الجنوب حيث يزود الكوني قارئه بصورة فنية مفصلة وشائقة للوديان والجبال والكهوف والحيوانات الصحراوية وصفاتها وطباعها والرسوم المحفورة في صخورها وكهوفها منذ ما قبل التاريخ ، وللأساطير المعيشة والعقائد والعادات والتقاليد الصحراوية وبقيمة المال والصيد والرصاص واقتفاء الأثر، والثقافة البدوية بصفة موسعة ومفصلة وشاملة فضلا عن الحنو الصادق والفهم والعلاقة الحميمية التي تربط الشخصية الرئيسية**

[1]– المصدر نفسه، ص14

(البطل) وكل حيوانات الصحراء وبخاصة الغزال وبين البطل والرسوم القديمة من ناحية ثانية (محمدي السكوت)ولعل رواية نزيف الحجر أوضح مثال على ذلك»[1]. نقل "الكوني من خلال رواياته صورة كاملة عن الصحراء ؛ ولم يكن وصفه لها وصفا سطحيا بل تعمّق في وصفها وجميع مظاهر الحياة التي تخصّها فكانت وجعل منها موضوعاً خِصبا أنتج من خلاله كل مؤلفاته فتناول الصحراء بكلّ تفاصيلها من تراثها وحكى أساطيرها التي تظهر تراثها وتاريخها ومظاهر الحياة الاجتماعية فيها وعاداتهم وتقاليدهم وإبراز العلاقة بين الإنسان الصحراوي والطبيعة وصراع الإنسان مع الطبيعة الصحراوية وظروفها الوعرة من أجل الحياة.

تكمن أهمية كتابات "الكوني" فيما تحمليه من قيم إنسانية أخلاقية فقد رسم كل مظاهر الحياة في المجتمع الصحراوي بما فيها من عادات وتقاليد وطريقة عيشهم وكذلك القيم والمبادئ التي تربى عليها أهل الصحراء فنجد أن روايات "الكوني" « **تزخر بالعديد من المظاهر الأنثروبولوجية للمجتمع الصحراوي من عادات وتقاليد، وحكايات عن الإنسان، والواقع المعيش وفق أسلوب روائي متميز عكَّس جمالية الخطاب الروائي الإبراهيم الكوني، من خلال انفتاحه على قضايا إنسانية هامة تبرز خصوصية أبناء الصحراء، وتحدد علاقاتهم مع الطبيعة والحيوان، ومع الأخرين مدّ وجزر الاختلافات الاجتماعية والفكرية والثقافية بأسلوب جمع بين الخيال والواقع»**[2]. نقل لنا "الكوني "كلّ ما يتعلّق بالصحراء من قيم وكذا بين لنا

---

[1]–محمدي السكوت، قاموس الأدب العربي الحديث ،طبعة جديدة مزيدة ومحدّثة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، صفحة 27

[2]–لبنى بوخناف، تجليات الأنثروبولوجيا في الخطاب الروائي الإبراهيم الكوني ،أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، اختصاص علوم اللسان وتحليل الخطاب ، إشراف وردة معلم، جامعة 8ماي 1945 قالمة ،الجزائر ،2020/2019،ص47

سلوك أهل الصحراء وأوضح وفسر العلاقة التي تربط الإنسان بما يحيط به من ظواهر والعلاقة التي تربط الانسان بالحيوان بأسلوب شيق جمع بين الواقع والخيال فنجد أن الأساطير كانت لها مكانة كبيرة في روايات " الكوني باعتبارها أهم عنصر من عناصر التراث وتفسر العلاقة القائمة بين الإنسان والطبيعة التي يعيش فيها والحيوانات وصراع الإنسان مع نفسه من أجل العيش خاصة في بيئة صحراوية قد يصارع فيها الإنسان مخاطر عديدة.

ثانيا؛ مكانة إبراهيم الكوني في الأدب العربي

تمكّنت الرواية العربية خلال فترة وجيزة أنْ تثبت وجودها ؛ واستطاع منافسة الرواية الغربية، بعد أنْ نجحوا في التوقف عن تقليد الرواية الغربية فقد أدرك الروائيون العرب أنّ وظيفة الادب هو نقل وتصوير الواقع المعيش، والكشف عن المشاكل التي تواجه المجتمعات وقد أشار محمد رياض إلى الفكرة قائلا«**استطاعت الرواية العربية خلال فترة قصيرة لا تكاد تتجاوز القرن الواحد أنْ تثبت وجودها ؛ وتنتزع اعتراف الثقافة الرسمية بها ؛ بعد مواجهة ضاربة ؛ ونضال مرير، إنّما نقدم ليس في سبيل المبالغة ؛ بل ثمة ما يُؤكد النجاح الذي حققته الرواية العربية؛ كزيادة الروايات المطبوعة ؛ ازدياد عدد القراء؛ وترجمة بعضها إلى عدة لغات أجنبية** »[1]. حققته الرواية العربية هو زيادة عدد المطبوعات ؛وبروز طبقة تهتم بالرواية مما زاد عدد القراء والنقاد بالإضافة إلى ترجمة العديد من الروايات إلى عدة لغات منها : فرنسية، ألمانية، روسية وغيرها؛ وحصول بعض الروائيين العرب على جوائز عالمية من بينهم الروائي الليبي " إبراهيم الكوني" الذي يعد طفرة مميزةفي

[1] محمد رياض وتار، استلهام توظيف التراث في الرواية العربية، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق 2002ص؛218

الأدب العربي حيث نقل الرواية العربية من المحلية إلى العالمية من خلال رواياته التي تبرز التراث المحلي للصحراء .

استطاع " الكوني" الوصول برواياته إلى العالمية ونقل الرواية العربية من المحلية إلى العالمية من خلال أسلوبه المميز في الكتابة؛ فقد نجح في صب تجربته الإنسان الصحراوي التراث المحلي للصحراء الواسعة وقد لاقت أعماله الروائية اهتمام كبيرا داخل الوطن العربي وخارجه فترجمة أعماله الأدبية إلى عدة لغات وتم نشرهافي مجالات عالمية « **بالإضافة إلى الدّراسات النّقدية التي تناولت مجمل أعماله أو بعض رواياته؛ بعدة لغات أسهمت في انطلاقة نحو العالمية ، فهو بسبب خصوصيةكتابته المقتصرة تقريبا على حياة الناس في الصحراء الكبرى نهض بدور بارز في تطوير الرواية العربية المتعلقة بأدب الصحراء**»[1]. إنّ تميّز الكون وإبداعه المنفرد جعل الكثير من النقاد العرب والغرب يتناولون أعماله الأدبية ، ولهذا كان للكونيالفضل الكبير في تطوير الادب العربي و خاصة الأدب المتعلق بالصحراء؛ فكانت الصحراء موضوعه الأول في أعماله ، وقدم رؤى جديدة للرواية العربية فيما يتعلق بالصحراء وسكانها وطبيعتها وثقافتها وطبيعتها وكذلك تصوير التراث المحلي؛ لم يقتصر توظيف التراث المحلي على "ابراهيم الكوني" فقد أحدث هذا التوظيف نقلة نوعية في الرواية العربية، فساهم هذا التوظيف في تطويرها «**فظهر روائيون التصقوا ببيئاتهم المحلية، واستخدموا محتوياتها ونذكر على سبيل المثال لا الحصر "الطيب صالح " في روايته "عرس الزين" التي جسدت التراث المحلي للبيئة**

[1]–بشير أحمد علي جلالة، الأسطورة والمكان في أدب ابراهيم الكوني، رسالة است كمال ا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، اشراف الدكتور ابراهيم خليل، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، آب 2008،ص25

السودانية»[1]. شكل توظيف التراث المحلي ظاهرة للفتاة الانتباه في تاريخ تطور الرواية العربية ؛ وقد لجأ العديد من الروائيين لهذه الظاهرة ؛ وقد يكون الدافع في لجوء الروائيين العرب لتوظيفهم التراث المحلي في أعمالهم الروائية هو رغبتهم في الكشف عن بيئتهم المحلية المجهولة والتّعريف بها، أمّا الدّافع الأهم هو «**طرح الهوية الخاصة في سبيل قطع الصلة بالرواية الغربية والتأسيس لرواية ذات صبغة عربية شكلا ومحتوى»**[2] . بالرغم من توظيف الكثير من الروائيين للتراث المحلي إلى أنّ الكاتب "ابراهيم الكوني " تميز وأبدع في استلهام التراث المحلي و تجسيده له في جل أعماله الروائية وإنّ ما يميز "الكوني " عن غيره هو وفاؤه للبيئة الصحراوية ومجتمعه الطوارقي وتوظيفه للتراث الصحراوي في جل أعماله الروائية

حُظيت الصحراء بمكانة مهمة في الرواية العربية الحديثة والمعاصرة حيث تناولها العديد من الروائيين العرب في أدبهم ورواياتهم خاصّة بعد توجه الرواية العربية إلى المحلية ومحاولتها قطع الصّلة بالرواية الغربية، والتجديد في مضامينها؛ ويرى "محمد رياض وتار" أنّ الصحراء «**احتلت حيزاً كبيراً في الرواية العربية والدافع إلى ذلك توجيه الرواية العربية في العقدين الأخيرين بالاهتمام بالمحلية بوصفها تحقق لها التخلص من الهيمنة الغربية من جهة وتؤسس لرواية عربية إلى جانب الأنشطة الثقافية الأخرى في معالجة الواقع ورصد المتغيرات والمستجدات فيه ومن الروائيين الذين تخصصوا في تصوير الصحراء، الروائي الليبي ابراهيم الكوني الذي**

[1]–محمد رياض وتار ، استلهام توظيف التراث في الرواية العربية ، منشورات اتحاد كتاب العرب ، دمشق 2002، ص 218

[2]المصدر نفسه ص218

لدى من خلال رواياته بوصفه ابنا للصحراء عالما واسع الاطلاع على بيئة يكتنفها الغموض ولاتزال مجهولة لعدد كبير من الناس»[1].حاولت الرواية العربية فتح أفاق جديدة لها من خلال توظيف البيئة المحلية من أجل التخلص من الهيمنة والتبعية وكذلك تصوير الواقع العربي ورصد المتغيرات و المستجدات في البيئة العربية : ويُعد "ابراهيم الكوني" من أهم وأجدر الروائيين الذي تناولوا الصحراء فهو ابن الصحراء وأُطلق عليه سجين الصحراء فقد أبدع في وصفها وتصوير المجتمع الصحراوي و طبيعة العلاقة بين أهلها والطبيعة والحيوان ووظف تراثها من عادات وتقاليد وأساطير وبذلك كشف الكوني في رواياته عن عالم مجهول وغامضة وهذا ما أكسب رواياته عالميتها ليكون قد دفع الرواية العربية إلى العالمية من خلال عالمه ؛ التي تميزت عن غيرها من الروايات التي تناولت الصحراء هو العودة إلى الماضي والكشف عن أساطيرها ورموزها التي سطّرها الأجداد و تعاويذهم وتمائمهم السحرية وكل ما هو متعلق بالبيئة المحلية الصحراوية ؛ فالصحراء كانت موضوعه الأول ولم تكن مجرد إشارة في رواياته .

على الرغم مما قدمه الكوني للرواية الليبية خصوصا والرواية العربية عامة حيث استطاع نقل الرواية العربية إلى العالمية من خلال ترجمت أعماله إلى لغات عديدة إلا أنّه لم يلقَ اهتماما يليق به وبما قدمه الرواية العربية والعرب، وقد أفصح الكوني على أنه « **في الوقت الذي يحتفل فيه الأوروبيون بأعمالي ؛ أقل من يقرر هم العرب؛ وأقل منهم الليبيّون ؛ وأقل منهم ؛ الطوارق ؛ لكنّهم في النهاية أهلي ؛**

[1] محمد رياض وتار ، استلهام توظيف التراث في الرواية العربية ، منشورات اتحاد كتاب العرب ، دمشق 2002، ص 218

وأنا أمثلهم »[1]. لم يُحظَ "الكوني " بأي اهتمام من طرف العرب عامة والليبيّين خاصّة حتى أنهم أقل من يقرؤوا رواياته على عكس الأوروبيين الذين استقبلوا روايات الكوني ورحّبوا بها وقاموا بترجمتها إلى لغاتهم ونشروها في أهمّ مجلاتهم؛ قد منحوا "الكوني" جوائز عديدة تكريما على ما قدّمه من إبداع، وهذا ما يجعلنا نُقر بإعجاب الغرب بلغة ابراهيم الكوني الصحراوية.

ومن بين النقاد العرب الذي أشاروا إلى الكوني وأشادوا بفضله على الرواية العربية النّاقد المصريّ المعروف "جابر عصفور "، الذي يُقرّ بفضل الكوني على الرواية العربية، ويرى أنّ الكوني هو الروائي «**العربي الوحيد الذي استطاع خلق أسطورة متكاملة شاملة بعمقها وشخصياتها ومعانيها وظواهرها وأبعادها المادية والروحية وهذه الأسطورة هي أسطورة الصحراء**»[2]. اعتبر "جابر عصفور "الكوني" الروائي الوحيد الذي نجح في خلق أسطورة متكاملة بشخصياتها وكل ما تحتويه الأساطير فقد عُرف "الكوني" بتوظيفه للأسطورة ، وأبدع في ذلك حيث أنه استطاع توظيف أساطير كاملة في رواياته هذا ما يميّزه أبناء عصره من الروائيين وقد أضاف "جابر عصفور " قائلا «**إنَ الكوني عبقرية إبداعية على الرغم من أنه مظلوم عربيا ولم ينل حقه من التكريم فهو قد حصد جوائز عالمية تليق بعبقريته لكن أمته لم تكرمه بما يستحق**»[3]. أشار "عصفور" إلى عبقرية " الكوني "وتميزه

[1]لعياط فائزة ،الأبعاد الرمزية في رواية نزيف الحجر الإبراهيم الكوني ، مذكرة لنيل شهادة الماستر ، اشراف ضيف عبد المالك ، جامعة محمد بوضياف ،كلية الآداب واللغات المسيلة 2018/2017 ،ص 56

[2]لعياط فائزة ،الأبعاد الرمزية في رواية نزيف الحجر الإبراهيم الكوني ، مذكرة لنيل شهادة الماستر ، اشراف ضيف عبد المالك ، جامعة محمد بوضياف ،كلية الآداب واللغات المسيلة 2018/2017 ، ص 58

[3]المرجع نفسه ، ص 58

الإبداعي الذي لم يلقى أي اهتمام من طرف العرب ولم ينل التكريم الذي يستحقه في حين كرم الغرب " "إبراهيم الكوني "، وإنّ ما يؤكد انتماء الكوني للعرب وحبه لوطنه هو أنّه كتب أعماله باللّغة العربية رغم إتقانه للّغات أجنبية أخرى.

المبحث الثاني؛ توظيف الأسطورة في رواية "من أساطير الصحراء"

حظيت الأساطير بمكانة هامّة في كتابات الكوني، حيث استعملها في أغلب نصوصه الروائية، نجدها في روايات "التّبر "ونزيف الحجر" والمجوس "وروايته المدروسة في هذا البحث "من أساطير الصحراء"، حيث اعتمدها كمرجعية تراثية وتاريخية لها مدلولاتها في الثّقافة اللّيبية، وقد اختلف "الكوني " عن غيره من الروائيين في توظيفه للأسطورة فهو يستخدم الأسطورة في كتاباته كأداة يستلهم من خلالها أفكاره ويبرز من خلالها تُراث المجتمع الصحراوي والعلاقة القائمة بين أهل الصحراء والطبيعة الصحراوية ، و بذلك هو يستقي رواياته من الأساطير وذلك بتوظيف شخوصها وإبراز قواهم الخارقة، كما أنّ الأساطير تحتل مكانة مهمة في تجسيد الماضي واستحضاره ، والكشف عن الحقائق المبهمة، وقد لجأ "الكوني:" لتوظيف الاسطورة من أجل تفسير الظواهر الطبيعة لمجتمعه الصحراوي الذي سعى للكشف عنه وإبراز ملامحه للعالم ، وقد كشف البعد الاسطوري في خطاب "إبراهيم الكوني" **«عن العديد من الرسائل المشفرة التي تضمنت مدلولات متنوعة عبّر من خلالها عن صور اشتغال اللّاوعي الإنساني في التعبير عن خصوصيته الفكرية ورؤيته للعالم بما يلفت النظر إلى متخيل اِجتماعي وثقافي شعبي ، مُغاير**

للموروث الواقعي في السرد العربي ، وقد كشفت الأساطير المُضَمنة في خطاب الكوني عن نمط التفكير الجَمعي لدى طوارق الصحراء، وطريقتهم الخاصة في التعبير عن واقعهم فقد علّلوا – من خلال الفكر الميثُولوجي_ تقلبات البيئة بظواهرها و تَغيُّراتها المستمرة وعبّروا من خلالها عن مكبوتاتهم وأحلامهم المنتظرة ، فنجد العوالم الأسطورية لدى الطوارق ماثلة في أنماط المعيش اليومي والتَّنظيم الاجتماعي والمعتقدات وغيرها من الظواهر الحياتية »[1].حيث إنّ توظيف الكوني للأسطورة كان بهدف معيّن، وهو الكشف عن عالمه الصحراوي وما يدور داخله وطبيعة العلاقة بين أفراد و الطبيعة والحيوان، فالأساطير تلعب دورا مهما في الحياة النفسية للإنسان وتعد مخرجا للمكبوتات الداخلية له التي لا يستطيع الإنسان أن يعبر عنها بأسلوب مباشر خوفا من المجتمع والأعراف، فاستطاع الكوني رسم صورة المجتمع الصحراوي ورصد طريقة التفكير الجماعي لطوارق الصحراء وكيفية تفسيرهم للظواهر الطبيعة فالأساطير ملكة جماعية فالأساطير تشبه إلا حد بعيد وتجسد حياة الإنسان الصحراوي اليومية.

إنّ تعلق "إبراهيم الكوني" بالصحراء جعله رهينا لها فلم تخرج رواياته عن وصفه للفضاء الصحراوي و أهله الطوارق فعمل على إبراز تراثهم المحلي والخروج به من المحلية إلا العالمية واستعان في ذلك بالأسطورة إذا تعد أهم أعمدة التراث فهي تفسر وتعلل أصل الوجود وتحدد وتوضح العلاقة بين الإنسان و أخاه الإنسان وبينه وبين الطبيعة وكذا الحيوان ولهذا نجد أنّ كل "**العوالم الأسطورية في أعمال "الكوني " ترتبط بمكان واحد وهو الصحراء، لكنّه يجردها –وفق رؤيته – من سمة العراق**

[1]لبنى بوخناف ، تجليات الأنثروبولوجيا في الخطاب الروائي لإبراهيم الكوني، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، اختصاص علوم اللسان وتحليل الخطاب، إشراف وردة معلّم ، جامعة 8ماي 1945قالمة ،الجزائر ، 2020/2019،ص 236

والجدب ليحولها مكان رمزيا مشبعة بأبعاد واقعية تحاول إلغاء صورة المهمش المنسِّي، وإعادة بعثه من جديد في صورة رمزية دّالة، من شأنها إثار اهتمام القارئ المتمدن بعوالم جغرافية مُغايرة كانت لزمن بعيد على هامش الذاكرة ،وهو مالا يأتي –في نظر الكوني– سوى من خلال الأسطورة ،لما تملكه من تأثير مباشر على مصائر البشر وطرق تفكيرهم والأهم من كل ذلك سمة الاستمرارية التي تتضَّمنُها الأساطير»[1]. فلم تخرج روايات "الكوني "عن الصحراء وقد استطاع تغيير صورتها التقليدية التي طبعت في أذهان العالم على أنها مجرد أرض قاحلة نُسيت مع مرور الزمن ، فأعاد " الكوني" لهذا العالم المجهول الحياة بعد موته في ذاكرة الإنسان وما ساعد "الكوني " في إعادة إحياء هذا العالم. هو الأسطورة ذلك لما تمتلكه من تأثير على مصائر البشر وطرق تفكيرهم وكذلك ربط حاضرهم بماضيهم السحيق.

نجح الكوني في خلق عالم روائي خاص به من خلال استنطاقه للطبيعة الصحراوية التي تُعد مصدر إلهامه الأول و شكلت محورا أساسيا في كتاباته الروائية إلا جانب العلاقة التي تربط بين الطبيعة الصحراوية وعناصرها بالإنسان و عكْس مختلف الجوانب المحيطة بالمجتمع الصحراوي السياسية والاجتماعية والثّقافية وذلك بتوظيفه للتراث الصحراوي المحلي ومعتداً في ذلك على الأساطير باعتبارها أحد أعمدة التراث و همزة وصل بين الحاضر والماضي وبين الأسلاف والأخلاف، إذ كشفت روايات "الكوني"**«عن صراع الإنسان في مواجهة الطبيعة القاسية ، وعالمها المحكوم بالقدر الذي لا يُرد، كما تركز على المشاعر المُتَعددة للشَخصيات ،فَتَبْدوا**

[1]لبنى بوخناف ، تجليات الأنثروبولوجيا في الخطاب الروائي لإبراهيم الكوني، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، اختصاص علوم اللسان وتحليل الخطاب، إشراف وردة معلّم ، جامعة 8ماي 1945قالمة ،الجزائر ، 2020/2019،، ص 200

شَخصياتُها قَلِقَة حائرة، لاسيَما عندما لا يتأقلم الإنسان مع وجوده ، هذا ما يَنْطَبقُ مع شَخصياتِ "الكوني" التي تَعيشُ قلقاً دائما تَلُفهَا الحيرة من كل جَانِب حَول الوجود الَصحراوي حول القَدَر الذي لا يُرَد، حول الرغبة في امتلاك الحقيقة »[1]حاول "إبراهيم الكوني" من خلال كتاباته توضيح العلاقة القائمة بين الإنسان وبيئته الصحراوية التي تتميّز بالقسوة ، وبينه وبين الكائنات الصحراوية الأخرى ، حيثُ شكل هذا الفضاء الواسع بقساوته وغموضه حيرة في نفوس أهله وهذا ما عكسته شخصيات "الكوني " في أغلب رواياته فنجدها تحمل قلقاً وتساؤلات حول الطبيعة وقساوتها التي فرضت عليه عدم التأقلم مع الحياة فنجد في روايتنا المدروسة " من" أساطير الصحراء أن "تازيديرت" الشخصية البطلة كانت تعيش قلقاً كبيراً وتحمل تساؤلات حول العديد من القضايا كالسيل وسبب انقطاعه و الموت والخلود والحرية والبحث عن الحقيقة .

جاء توظيف "إبراهيم الكوني" الأساطير في رواياته بطريقة مكثفة للغاية حيث لا تخلوا رواياته من الأساطير الصحراوية ، فنجد أنّ الكوني يوظّف العديد من الأساطير في الرواية الواحدة، إلا أنّ "الكوني" قدم لنا أساطيره بطريقة فنية جميلة إذ **«قدم لنا أساطيره عبر الوقائع، ويقدم الوقائع، عبر الأسطورة، وكلاهما يشكل نسيجا يصعب أن تفرز عناصره، ونحن نتابع متعة القرابة، فالكاتب يتجول بيسر**

[1]حفيظة لحرش، متاهة السنن في الرواية المغاربية المعاصرة " ابراهيم الكوني" انموذجا ، رساله مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في اللّغة والأدب العربي، اشراف منصوري مصطفى، جامعة جيلالي ليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، 2018/2017 ص 117

من الواقعة إلى الأسطورة أو العكس»[1]. قام "الكوني" بمزج الواقع والأسطورة في كتاباته الروائية حيث يصعب على القارئ الفصل بينهم من خلال القراءة "فالكوني " يتنقل بين الواقع والأسطورة خلال سرده للأحداث والوقائع دون أنْ يفصل بينهما فيقدم الواقع عبر الأسطورة والأسطورة في صورة الواقع وبذلك استطاع خلق انسجام بين الأحداث في روايته مما جعل رواياته متماسكة .

اهتم "إبراهيم الكوني" كثيرا بموطنه الصحراوي وأهله الطوارق وما يعكس حبه و تعلقه الشديد بالصحراء هو منحِه لها مكانة كبيرة في رواياته فكانت موضوعه الأول والوحيد قام بالكشف عن أسرار الحياة الاجتماعية والثقافية للمجتمع الصحراوي ،وعمل على توظيف كل عناصرها الكونية دون أن يهمل أي عنصر من عناصرها واستلهام تراثها بما فيه من أساطير ورموز التي سطّرها الأسلاف الأوائل ، فغاصّ الكوني في هذا الفضاء الواسع الغامض ليبرز ملامحه الغامضة وقد« **استطاع "الكوني" بقدرته الفنية الالية أن يجعل الصحراء فضاءً أسطوريا ثريا برموزه ، وطبقاته الدّلالية العميقة محوّلا قحطها إلى جنّة أسطورية في عالمه النصي المتخيّل مستنطقا أخطارها وكهوفها ورمالها وشمسها وحرّها»**[2]. جعل " إبراهيم الكوني " من الصحراء فضاء أسطوريا بامتياز في رواياته بما تحتويه من رموز وما

[1] لبنى بوخناف ، تجليات الأنثروبولوجيا في الخطاب الروائي لإبراهيم الكوني، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، اختصاص علوم اللسان وتحليل الخطاب، إشراف وردة معلّم ، جامعة 8ماي 1945قالمة ،الجزائر ، 2020/2019،ص 41

[2]– مليكة سعدي ، الصحراء والأسطورة في روايات إبراهيم الكوني، أطروحة دكتوراه ، إشراف عبد القادر شرشار ،كلية الآداب واللّغات والفنون ، جامعة وهران الجزائر،2013/2012، ص 82

تحمله من دلالات عميقة و تمكن من جعل تلك الأرض الجافة إلى جنّة من خلال استغلاله لعناصرها الكونية بجعله تلك العناصر رموزا أسطورية.

حاول "إبراهيم الكوني" رسم صورة مغايرة لصورة التقليدية التي طبعت في الأذهان عن الصحراء وأهلها وذلك من خلال الكشف عن أسرارها وخباياها وتوضيح العلاقة القائمة بين عناصرها بإحيائه لتراثها المحلي وخاصة توظيفه الأساطير التي فسرت أصل الوجود الصحراوي بالإضافة إلى توظيف عناصر الطبيعة الصحراوية بطريقة خيالية حيث قام الكوني باستنطاقها «**فكل ما في الصحراء ذو لسان حين تسأله يجيب (النبات والحيوان والماء والسماء .. وحتى أهل الخفاء**»[1]لم يهمل " الكوني" أي عنصر من عناصر الطبيعة الصحراوية في رواياته فنجده يجعل منها رموزاً تحمل معاني خفية فنجده في روايتنا المدروسة " من أساطير الصحراء " قد وظف أغلب عناصر الطبيعة و قام باستنطاقها في الحوار الذي دار بين العناصر الكونية ، حين حاور الحجر الكائنات الأخرى قائلا «**لم أجد في الصحراء عنصراً أقدر على البقاء مني ، فارهنوا وصاياكم في صدريإذا أردتم أن تبلغوها للأجيال** »[2]وكأن "الكوني" أراد أن يبين قداسة الحجر كونه يربط بين الماضي والحاضر فهو يقدم للأهل الصحراء تاريخ وصايا أجدادهم التي سطروها ونقشوها عليه واعتبره الكوني رمزا للصبر والوفاء خاصة وأنّه يحمل الرسائل التي أراد الأسلاف نقلها للأخلاف ليثبتوا لهم أنهم كانوا موجودين يوما ما وكيف عاشوا وليحملوهم وصايا و يبرهنوا على عراقتهم و أصالتهم وامتدادهم التاريخي ، ونجد أن الكوني أشار إلى ذلك في مقطع الجبل في روايتنا المدروسة " من أساطير الصحراء" « **هناك عرف أنّ الأسلاف عرفوا الظمأ إلى الخلود ، و أرادوا أن يبقوا أثرا يُبرهن للأخلاف أنهم**

[1]– المرجع السابق ص 45

[2]إبراهيم الكوني ، من أساطير الصحراء، ص 35

عاشوا يوما مثلهم ، و عشقوا الصبايا ،وتلذّذوا بجموع الكواكب مثلهم .لم يجد الأسلاف رسولا أكثر صبرا ووفاءً من الحجر فصقلوه بأيديهم وبثّوه وصيتهم، وتركوا عليه علامة فجيعتهم »[1]. بيّن " الكوني " في هذا المقطع أنّ الحجر أحد رموز الصبر و الوفاء والخلود وأكسبه صفة مقدسة وهي صفة الخلود يبحث عنها أهل الصحراء كما بين العلاقة بين الحجر و الإنسان حيث اعتبر الحجر معيناً للإنسان حمَل وصاياه وأحزانه و الكثير من الأحداث والوقائع التي أراد الإنسان أن يُخلدها و ينقلها لأخلافه وبذلك يعد الحجر رمز تراثي .

يمثل الماء ركيزة أساسية في حياة الشعوب فهو من يضمن استمرارية الحياة ، فوجود كل ما في الأرض من كائنات حية مرهون بوجود الماء وقد ذكر الله سبحان وتعالى قيمة والأهمية البالغة للماء في حياة الكائنات في قوله تعالى «**وَ جَعَلْنا مِنَ الماءِ كُلَّ شّيءٍ حيّ**»[2]. فحياة مربوطة بوجود الماء فهو أساس الحياة ، وكلُّ ما في الوجود بقاؤه مرهون بهذا العنصر الثمين فالماء هو سر الوجود .

أما بالنسبة لأهل الصحراء فتزيد قيمة الماء و أهميته نظرا لقساوة الطبيعة الصحراوية التي تتميز بالجفاف والحرارة وندرة الماء، ولهذا شَغل السيل هو الأخر حيزا كبيرا في روايات "الكوني" لما يحتويه من قيمة وأهمية بالغة عند أهل الصحراء إذ « **إنّه مصدر حياة أساسي في نظر الطوارق، وركيزة أولى يُبنى عليها نظام عيشهم ومطلبا أساسيا تُقرر القبائل الطوارقية عند فقدانه الترحال**»[3]. إن حياة أهل

---

[1] المرجع نفسه ص28

[2] – سورة الأنبياء، الأية 30

[3] لبنى بوخناف ، تجليات الأنثروبولوجيا في الخطاب الروائي لإبراهيم الكوني، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، اختصاص علوم اللسان وتحليل الخطاب، إشراف وردة معلّم ، جامعة 8ماي 1945قالمة ،الجزائر، 2020/2019 ،ص105

الصحراء مرهون بوجود الماء هذا المكون الأساسي يضمن لهم استمرارية العيش ويفرض عليهم الاستقرار أو الترحال في حال وجوده أو عدمه فهو ركيزة أساسية في الحياة الصحراوية ، وقد عكست روايات "الكوني " الأهمية البالغة لهذا العنصر ومدى تأثيره في أهل الصحراء وبين العلاقة الوطيدة بينهم ، لمنحه مكانة كبيرة في رواياته ، ونجد في روايته " من أساطير الصحراء" التي خصصنا دراستها في بحثنا أنّ الماء شكل محورا أساسيا حيث نجد أن البطلة "تازيديرت" في نذر البتول ضحت بنفسها مقابل أنْ ترى السيل بعد الظمأ الذي عاشته وشوقها للماء الذي لم تسمع عنه إلى في حكايات جدتها ف" تازيديرت " إلى « **الجيل المحروم الذي لم يشاهد في حياته سيلاً وسمع عنه فقط في خرافات العجائز** »[1]. هذا ما يعكس الظمأ الشديد الذي يعيشه أهل الصحراء فجيل كامل لم ير الماء إلا في قصص العجائز في ظلّ بيئة قاسية حارة وجافة هذا ما يعكس القيمة التي يحملها الماء عند أهل الصحراء ومدى تعلقهم به و واشتياقهم الشديد له حتى ظنوا أنه مجرد خرافة من خرفات العجائز ، لذلك لم تصدق "تازيديرت" قصص جدتها على السيل وظّنت أنّها مجرد خرافة من خرافتها فقد أخبرتها أنّ « **الأمطار تسقط على المرتفعات في جبل الحساونة، أو جبل لنفوسة، في أقصى الشمال، ثم تنحدر عبر الشُعب و تصبّ في الأودية. تتجمّع هناك ثم تبدأ مسيرتها نحو السهول في الجنوب** »[2]. ظّل السيل مجرد خرافة من خرافات العجوز عند "تازيديرت" فهي لم تؤمن بأنّ السماء قد تهطل بقدر من الأمطار ليقطع كُلّ هذه المسافة ليصل إليهم وكيف للأرض الجافة أنْ لا تستولي على الماء حتى رأت السيل بأم عينها و حدثت المعجزة . عندما نزلت الرحمة على الجبل وغلب السيل أشعة الشمس الحارقة والأرض البائسة ووصل إلى

[1] إبراهيم الكوني، من أساطير الصحراء، ص 46

[2] المرجع نفسه، ، ص38

القبيلة ويرتفع على الأرض التي لم تذق طعم الماء عشرات السنين الذي يتدفق بسرعة دون توقف.

كما يحمل الماء في عند أهل الصحراء « **قيمة دينية و أسطورية متنوعة** ترك لهم الأجداد كذلك هو حال السيل فكما يحمل السيل معه السعادة والنقاء إلى أهل الصحراء هو كذلك يحمل معه الموت والغدر خاصّة إذا كان السيل قويا وهذا ما أخبرته العجائز عندما جرى الوادي وحذروا منّه الأطفال فالسيل الذي يغمر الصحراء مرة كل عشرات السنين لا يطمئن «**إيّاكم وأن اطمئنوا إلى السيل ، فوق لسانه جن وفي ذيله دائما غدر**»[1]. فالسيل عندما يأتي لا بد أنْ يجرف في طريقه رجلا أو امرأة أو طفلا إلى جانب الحيوانات فلا يكفيه وقد فسرت العجوز سبب ذلك أن السماء تنتقم من الأشقياء الذين لا يوفون بالنذور ويبخلون بالقرابين ، فتأخذ السماء حقها عن طريق السيل ، فالسيل يحمل تناقضات كما يحمل الحياة فهو يحمل الموت في الجانب الأخر، ولقد أجابت الجدة عندما سألتها " تازيديرت" «**ألا تكفيه أرواح المعيز والإبل ؟ أليست الحيوانات قرابين أيضا ؟.أجابت الجدة بكلام عاش في ذاكرة الحفيدة إلى الأبد الحيوانات قرابين صغيرة لم تخلق للسيل. السيل صعب لا يقنع إلا بدم الإنسان** »[2]. فالسيل الذي يغيب عشرات السنين ويحرم أهل الصحراء من نصف حياتهم ليس سهلا ولا يأتي بهته السهولة.

ظلّت " تازيديرت" تحلم بالسيل حتى أنها نذرت نفسها مقابل أنْ ترى السيل الذي حرمها حياتها وكلما تذكرت السيول سالت الدموع من عينيها ، فكان السيل هو معشوقها الذي تبحث عنه ونذرت نفسها مقابل أنْ تراه فقد ذهبت إلى الكاهنة لكي

[1] إبراهيم الكوني ، من أساطير الصحراء، ص46

[2] المرجع نفسه،ص50

تخبرها عن موعد السيل فأخبرتها أنّ «**السيل قادم : أين يمكنه أن يطير ، هل تظنينه معشوقك وحد؟ الصحراء أكثر شوقا منك ، أرضها أكثر لهفة وهي تعاني من الهجر أكثر منك ، اصبري أين يمكنه أن يطير** »[1].ظلت تنتظر السيل حتى تحقق حلمها وحال السيل فركعت في الماء داعب السائل المسحور ركبتيها تسلل تحت ثوبها وهجم على جسمها البكر العاري وأخدها السيل في طريقه فقد نذرت نفسها مقابل أنْ ترى السيل الذي أرادت أنْ يطفأ ظمأها ويخفف من حرارة الشمس الحارقة على جسدها وهذا يكون السيل قد حرم " تازيديرت" بأنها كلها ليس نصف حياتها .

نجد في رواية الكوني أن النبات قد تجاوز قيمه الواقعية ومنحه بعدا أسطوريا في روايته خاصة وأن النبات مرتبط ارتباطاً وثيقاً بأهل الصحراء فهم يستخدمون النبات كدواء للأمراض كما يحميهم من الجن ومن النباتات التي استخدمها الكوني في روايته من أساطير الصحراء الشيخ وهو من النباتات الجبيلة المقاومة للجفاف و يستخدم كتميمة واقية من الجن وهذا ما تجلى في رواية من أساطير الصحراء حيث أخذت الأم صرت الشيح ووضعتها في معصم ابنها الرضيع وكأنها حصن مانع من غزو أهل الخفاء ««**لا حقته الأم ، أغوته بحيل الساحرات استبدلت في يده صرة الشيح ، أخذت الصرة القديمة وأحرقتها في موقد النار**»[2] . تستعمل الأمهات الشيح كتمائم تقي بها أطفالها الرضع كونها أكثر عرضة للجن .

كما شغلت نبتة الترفاس مكانا واسعا في رواية من أساطير الصحراء إذ تعد هذه النبتة ثمرة سحرية وتعد كنزا ثمينا يبحث عنه أهل الصحراء وقد وصفها الكوني في

[1] المرجع نفسه،ص75

[2] – إبراهيم الكوني، من أساطير الصحراء، ص 25

روايته عشب لليل على أنها «**عشبة تبدو ككل الأعشاب ولكن لها مفعول الجن**»[1]فهو رمز له قيمته الأسطورية يتميز عن غيره من النباتات ، فالترفاس نبات حير أهل الصحراء إذ أنّ أهل الصحراء لم ترى ثمرة ألذ من الترفاس وقد « **أصبح البحث عنها تقليدا قدّسه الأولون وأورثوه للأولاد والأحفاد**»[2]. فالبحث عن هذه النبتة الثمينة موروث خلّفه الأجداد الأحفاد كما اعتبر الكوني الترفاس كنز من كنوز الصحراء وسر بقيّ مجهولا وقد اختلف أهل الصحراء حول ظهوره وقد شكل لهم لغزاً مُحيرا منذ الأزل وذكر الكوني ذلك في روايته حيث ذكر أنّه « **الفريق ظهور الثمار الخفيُّة مرهون بأمطار خريفية غزيرة تعقبها أمطار شتوية تناسبها في السخاء ويؤكد فريق آخر قائلاً إنّ السر الأوّل يكمن في أمطار الصيف تدعمها أمطار الخريف والشتاء. ويقوم فريق ثالث يرى أنّ تلك المواسم التي كثر فيها محصول الثمرة السحرية في سنوات لم تشهد فيها الصحراء قطرة مطر واحدة** »[3]شكلت هذه النبتة الثمينة حيرة لدى أهل الصحراء منذ الأزل إلى يومنا هـ ، وذكر الكوني الترفاس في قصة نذر البتول حيث ظَّلت "تازيديرت" تحلم بثمرة المفقودة التي لم تسمع عنها إلى في حكايات جدتها فقد «**نسجت الخرافات عن النوع الأسود شكه، حجمه ، لونه ، شذاه ، وطعمه الأسطوري**»[4]

ويرى "الكوني "أنّ سرّ الترفاس موجود عند العرّافين فقط ،وقد شكل العرّافون أهمية بالغة في روايات "الكوني" وقد يعود إلى الدور المهم الذي تلعبه هذه الفئة داخل المجتمع الصحراوي ، ودائما ما يلجأ الناس إليهم من أجل تفسير بعض

[1]إبراهيم الكوني ، عشب لليل ص13

[2]المرجع السابق ص100

[3]إبراهيم مالكوني ،من أساطير الصحراء، ص100

[4]المرجع نفسه ، ص،60

الظواهر أو من أجل العلاج ومن أجل صنع التمائم والتعاويذ ونجد أنّ في قصة الجبل لجأت الأم إلى العرّافين من أجل شراء مدية نحاسية كما كان الطفل كلما وجد حجرا في الجبل يذهب إلى العرّاف ليفسر له تلك الرسومات التي نقشت على الهجر .

ويرى "إبراهيم الكوني " أنّ « **عيون العرَّافين في الصحراء دائما فارغة وعمياء، ويقول العرَّافون الرحَّل هذه عاهة طبيعية لمن رزقه الله البصيرة ، البصر والبصيرة لا يجتمعان ، وهي حكمة معروفة في بلاد العرّافين الأصلية .**»[1]. وهذا ما يبين مدى قداسة وقيمة العرافين عند أهل الصحراء فهم رمز امم رموز التراث والثقافة، ولا نجد أي قصة من قصص تخلوا من هذه الفئة.

كما تكشف لنا رواية **من أساطير الصحراء** عن مجموعة من الطقوس و العادات التي يُمارسها أهل الصحراء في الكثير من أمور حياتهم اليومية ك القرابين وهي « **تقديم أضحية إلى إله قصد أو ولي قصد الإعانة على تحقيق طلب ما كالشفاء أو الإنجاب أو نزول المطر أو رفع المصائب أو تفسير النبوءة، ويأتي تعريفه في المعجم الإثنولوجي كما يلي : القربان هو عمل ديني يقوم عن طريق نذر أضحية ، بتغيير حالة الشّخص المعنوي الذي يؤدّيه أو حالة الاشياء التي يهتم بها**»[2] . فالقرابين هي أحد أهم الطقوس لدى أهل الصحراء حيث يقومون بتقديم أضحية إلى القوى العليا من أجل تحقيق مطالبهم وقد الصحراء ولا نكاد نجد رواية من روايات الكوني لا تتحدث عن القرابين لما تمتلكه من مكانة خاصة في حياة الشعب الصحراوي

---

[1] المرجع نفسه ، ص101

[2] مليكة سعدي ، الصحراء والأسطورة في روايات إبراهيم الكوني، أطروحة دكتوراه ، إشراف عبد القادر شرشار ،كلية الآداب واللّغات والفنون ، جامعة وهران الجزائر،2013/2012،ص 25

وقد يكون القربان حيوانية أو بشريا .

نجد في رواية "**من أساطير الصحراء**" في مقطع الجبل أنّ الأم ذبحت الديك من أجل ابنها الرضيع كي لا يمسه أذى من أهل الخفاء حيث قالت « **أنها ذبحت ديكا كريها أراد أن يفتك به قبل أن تبدأ المسيرة** »[1]. تحمي القرابين الناس من الأذى الذي يكون سيحل بهم أو بأهلهم و لتفادي اللعنة التي تصيبهم فأهل القرية عندما أرادوا أن يصعدوا إلى الجبل والبحث على الكنز قاموا بنحر الأنعام عند حضيض الجبل كقرابين يتوسطون بها إلى الجبل الذي يحمل الكنز .

أما فيما يخص القربان الإنساني فنجد أن "تازيديرت " قدمت نفسها قرباناً إلى السماء من أجل أنْ ترى السيل خاصة بعد الكلام الذي أخبرته بها جدتها حين قالت «**الحيوانات قرابين صغيرة لم تخلق السيل ، السيل صعب السيل لا يقنع إلا بدم الإنسان** »[2].مثلّت "تازيديرت" قربانا بشريا ، خاصة بعد أن علمت أن أمنيتها لن تتحقق بتقديم الحيوانات كقرابين لأنها قرابين صغيرة و أمنيتها لا تتحقق إلى بتقديم قربان كبير، فقدمت نفسها قرباناً الشمال مقابل السيل.

كما شكلت النّذور إلى جانب القرابين جزءاً مهماً إلى جانب القرابين فقط ارتبطت بها ارتبطاً وثيقا والنّذر هو « **وعد لكائن مقدّس إله أو ولي أو طوطم بتنفيذ فعل إرضاء له، أو تقديم أضحية شكر له ، ويجب على النار الالتزام بعهده والوفاء بنذره ، حتّى تقضى حاجته أو ليتجنّب اللعنة التي تحلّ عليه إن خان المنذور له**

[1] إبراهيم الكوني ، من أساطير الصحراء ، ص27

[2] إبراهيم الكوني، من أساطير الصحراء،ص50

»[1]. فهي إذاً وعد يقدمه أهل الصحراء إلى ولي من أجل قضاء حاجته مقابل تحقيق أمر ما ، ويجب على النّاذر الالتزام بعهده حتى يتجنب اللعنّة وغالبا ما تكون النّذور عبارة عن قرابين .

نجح "الكوني " في تصوير أهمية النذور وقيمتها في روايته من خلال تقديمه لها على لسان الجدة في نذر البتول عندما أخبرتها عن سبب أخذ السيل لأرواح البشر فقالت « **أنَّ السيل لابدّ أنْ يجرف رجلا أو امرأة أو طفلا في طريقه عندما يأتي لأن الأشقياء في هذا الزمان يبخلون بالقرابين ولا يوفون بالنّذور، يظنون أنهم يستطيعون أنْ يخدعوا السماء فيضطّر السيل أن يأخذ منهم حقّه بالقوّة»**[2]. إنّ عدم الوفاء بالنّذر يجلب لصاحبه اللّعنة كما حدث مع من خانوا النّذر مع السماء فحلّت عليم اللّعنة وكلما أتى السيل جرف منهم رجلا أو طفلا أو امرأة ، ونجد في نفس القصة أنّ "تازيديرت" نذرت الشمال أنها لن تتزوج حتى ترى السيل وتكون هي القربان ، ووفت بوعدها الذي قطعته ، فظلت سنين طويلة بلا زواج رغم محاولات الجدة ، إلا أنها بقيت محافظة على وعدها حتى أتى السيل وجودها بكر وأخذها السيل كما يأخذ العريس عروسته البكر وتحقق حلم "تازيديرت" ، بعد صبر كبير فهي لم تحمل "تازيديرت" عبثا .

أما فيما يخص الأساطير التي وظّفها الكوني في روايته تطرقنا إلى أسطورتين :

1 أسطورة واو : لقد شغلت هذه الأسطورة حيزا واسعا في أعمال "الكوني"« **وهي الأسطورة الأم التي تولدت عنها الأساطير الأخرى وما يوضح أهمية هذه الأسطورة**

[1] مليكة سعدي ، الصحراء والأسطورة في روايات إبراهيم الكوني، أطروحة دكتوراه ، إشراف عبد القادر شرشار ،كلية الآداب واللّغات والفنون ، جامعة وهران الجزائر،2013/2012، ص 30

[2] إبراهيم الكوني ، من أساطير الصحراء ، ص50

أنّها حملت اسم رواية من روايات "الكوني" وهي " واو الصغرى" وتحكي هذه الأسطورة عن أرض كانت في بداياتها مثل حرفها تعطف الإنسان على الإنسان، فتصافي وتؤلف بينهم كانت رياضا خصباً ومروجاً وأنهار تجري وثمار وكأنه جنة فهي اسم آخر للفردوس فكان أهلها أخياراً لا يحملون حقدا ولا شراً في قلوبهم، لا يرتكبون الرذيلة يمتثلون لتعاليم «آنهي» كتابهم الذي كتبت فيه وصايا تعصمهم عن الوقوع في الخطأ، ثم حلّ بهم قوّم طلبوا منهم الجيرة فأذنوا لهم، وصاهروهم مقابل عهد بينهم ألا يقتلوا نفسا أو يصيدوا أنثى من الوّدان حبلى، أو يقطعوا الأشجار الخضراء، لكنهم سرعان خانوا العهد بعد أن قتل رجلا من الأغراب رجلا من أهلها الاصليين فحلت عليهم اللّعنة وطارت "واو" وضاع الكتاب إلى الأبد ورفعت الأنهار إلى السماء وجفت الأرض وانقلبت إلى صحراء وتحول أهلها الأصليين إلى الخفاء.»[1] . من هذه الأسطورة تنبثق جميع القصص التي حدثنا عنها "الكوني " فهته الأسطورة تحكي عن كيف الصحراء قبل أن تكون صحراء فكانت جنة أهلها من خيرة البشر منزهون لا يرتكبون الخطيئة والرذيلة يعيشون في سعادة يأخذون أوامرهم من الكتاب المقدّس " آنهي» ؛ حتى جاورهم قوم و صاهروهم مقابل عهد بينهم وهو أن لا يقتلوا نفسا ولا يصطادوا أنثى الودان الحبلى ولا يقطعوا الأشجار لكن الذين جاوروهم لم يمتثلوا للعهد حين قتل أحد الرجال الذين جاوروهم رجل من الرجال الأصليين فحلت عليهم اللعنة وطارت واو وضاع الكتاب الذي كان يحمل وصاياهم وجفت الأرض وانقلبت الصحراء صحراء ؛ تحكي هذه الأسطورة عن أصل الصحراء وكيف تحولت بعد أنْ كانت جنّة فوق الأرض يعيش أهلها السعادة ؛ لتصبح أرضاً جافة قاحلة وتحوّل أهلها الأصليون إلى أهل خفاء ؛ أما الذين جاوروهم

[1] إبراهيم الكوني، من أساطير الصحراء ، ص15

ظلّوا على هذه الأرض يعيشون الشقاء الأبدي الذي حلّ بهم بعد ارتكابهم الخطيئة ونقضهم العهد.

2 أسطورة النبوءة: وردت هذه الأسطورة في نذر البتول وهي التنبؤ بالأحداث قبل وقوعها ، حيث لجأت جدة "تازيديرت" إلى الربوة من أجل وجود شيء يشير إلى اقتراب الخلاص من النكبة بعد أن خيبت العرافة ظنّها ف « **وترددت إلى ربوة كئيبة ترتفع في العراء الممتد ، صلعة الدراويش** » [1] . لجأت الجدّة إلى الربوة من أجل أنْ يخبرها «أدبني» متى موعد انتهاء النكبة حيث « **رأت كيف تتمسح المسكينة ب «أدبني » مُستدير مرتفع الفوهة ، فقبعت " تازيديرت" في السفح وراقبت جدّتها وهي تتوسد القبر القديم وتغفو** »[2] . لجأت الجدّة إلى القبر من أجل التنبؤ بموعد الفرج ، وكانت تقوم ببعض الطقوس ، يمتلك « أديني » مكانة خاصة عند أهل الصحراء فهم لا يتركون أمرا إلا ويعودون فيه إليه ، حتى أنّهم يقولون « **من لم يجاور قبور الأولين عاش أعمى ، عاش غافلاً عن مؤتمرات القدر ، وعرض حياته لأكبر خطر**»[3] . يولي أهل الصحراء اهتماما كبيرا ب «أديني » فبواسطته يتم الاطلاع على المستقبل ومعرفة الخبايا وعن الغائب ، ولا يوجد غائب على الصحراء كالمطر .

[1] إبراهيم الكوني من أساطير الصحراء ص 74

[2] إبراهيم الكوني ، من أساطير الصحراء، ص75

[3] المصدر نفسه، 75

خـــاتمـــة

خـــاتمــة

وفي الأخير وكما هو معلوم لا يخلو أي بحث من نتائج أما بالنسبة لنتائج التي خلصنا من خلال إعداد بحثنا وفقمنا بترتيبها فيما يلي:

1 صعوبة وجود تعريف واحد شامل وجامع للأسطورة يتفق عليه كل الباحثين وأهل الاختصاص.

2 تلعب الأساطير أهمية بالغة في تحديد تاريخ الشعوب وتكوين ثقافاتهم والكشف عن تراث بيئتهم المحلية وذلك بربط ماضيهم بحاضرهم فهي أحد أهم عناصر التراث.

3 استطاع" إبراهيم الكوني" نقل الأدب والرواية اللّيبية إلى العالم العربي والغربي بعد مرحلة الضعف الذي عرفته و ذلك بكشفه عن التراث المحلي لبيئته الصحراوية بتوظيفه لأساطيرها .

4 يُعد الروائي "إبراهيم الكوني" من أهم الروائيين العرب والمغاربة اهتماما بتوظيف تراث بيئته المحلية وقد مكنه أسلوبه المميّز في نقل الرواية المغاربية إلى العالمية حيث تم نشر رواياته في مجالات ذات صيت وحصدت جوائز عالمية .

5 عمل الكوني على التعريف بيئته الصحراوية من خلال الكشف عن تراث بيئته المحلية وذلك باستلهامه لأهم عناصر التراث في روايته

6شكلت الأساطير جزءاً مُهما في روايات "الكون" فكانت مادته الأساسية التي بنى عليها رواياته باعتبارها أهم عناصر التراث.

7 قام الكوني باستنطاق عناصر البيئة الصحراوية وأسطرتها وهذا ما أكسب رواياته لغة عجائبية مكنتها من اجتياح العالم العربي

8 يُضفي توظّيف" الكوني" الأساطير بعدا جماليا وروحيا على رواياته بالإضافة إلى إبراز الثقافة الصحراوية فالأساطير جزء من الثقافة فهي الذاكرة الجماعية للمجتمعات

وأخيرا يمكننا القول أنّ الكوني نجح في خلق عالم خاص به من خلال موجة بين الواقع والخيال الأسطوري في رواياته ونجح في التعريف بالمجتمع الصحراوي وإبراز ثقافته .

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولا ، القرءان الكريم

ثانيا ، معجم اللّغة العربية ،المعجم الوسيط، الإدارة العامة المجمعات وإحياء التراث، جمهورية مصر العربية، مكتبة الشروق الدّولية. الطبعة الرابعة

ثالثا ،الكتب

1 إلياد مرسيا ، مظاهر الأسطورة ،ترجمة نهاد خياطة دار كنعان لدراسات والنشر والتوزيع.

2 فراس السواح دراساتٌ في الميثولوجيا والديانات المشرقية، دار علاء الدين للنشر والتوزيع، دمشق 1979

3 سيد القمني، الأسطورة والتراث ، المركز المصري لبحوث الحضارة المصرية ، الطبعة الثالثة ، القاهرة 1999

3 فاروق خورشيد : أديب الأسطورة عند العرب _جذور التفكير وأصالة الإبداع ،الألمعية للنشر والتوزيع ، الطبعة الاولي 2014 ، عين الباي قسنطينة ، الجزائر

6 محمد عبد الرحمان يونس ، الأسطورة وبعض المظاهر السلبية في توظيفها

7محمد رياض وتار، استلهام توظيف التراث في الرواية العربية، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق 200

9 محمدي السكوت :قاموس الأدب العربي الحديث ،طبعة جديدة مزيدة ومحدّثة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

10 إبراهيم الكوني ،،من أساطير الصحراء

11 إبراهيم الكوني عشب الليل

12عبد الحميد عقّار؛ الرواية المغاربية تحوّلات اللّغة والخطاب ؛ شركة النشر والتوزيع المدارس ، الدار البيضاء، الطبعة الأولى.

رابعا ، الأطروحات

1مليكة سعدي ، الصحراء والأسطورة في روايات إبراهيم الكوني، أطروحة دكتوراه ، إشراف عبد القادر شرشار ،كلية الآداب واللّغات والفنون ، جامعة وهران الجزائر

2 لبنى بوخناف ، تجليات الأنثروبولوجيا في الخطاب الروائي لإبراهيم الكوني، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، اختصاص علوم اللسان وتحليل الخطاب، إشراف وردة معلّم ، جامعة 8ماي 1945قالمة ،الجزائر، 2020/2019

3حفيظة لحرش، متاهة السنن في الرواية المغاربية المعاصرة " ابراهيم الكوني" انموذجا ، رساله مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في اللّغة والأدب العربي، اشراف منصوري مصطفى، جامعة جيلالي ليابس، سيدي بلعباس، الجزائر.

4لعياط فائزة ،الأبعاد الرمزية في رواية نزيف الحجر الإبراهيم الكوني ، مذكرة لنيل شهادة الماستر ، اشراف ضيف عبد المالك ، جامعة محمد بوضياف ،كلية الآداب واللغات المسيلة 2018/2017 .

5بشير أحمد علي جلالة، الأسطورة والمكان في أدب ابراهيم الكوني، رسالة است كمال ا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، اشراف الدكتور ابراهيم خليل، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، آب 2008

الفهـرس

الفهرس

شكر وعرفان

إهداء

مقدّمة.....أ

الفصل الأوّل؛ التّراث الأسطوري وتوظيفُه في كتابات إبراهيم الكوني 4

المبحث الأوّل؛ الأسطورة وأهميّتها.....5

المبحث الثاني: الأدب اللّيبي تاريخُه وخصوصياته الفنية..... 15

الفصل الثاني؛ الأسطورة في كتابات إبراهيم الكوني..... 22

المبحث الأوّل؛ إبراهيم الكوني؛ ومكانته في الأدب العربي 23

أوّلا؛ الكوني وسيرة الرواية..... 23

ثانيا؛ مكانة إبراهيم الكوني في الأدب العربي..... 31

المبحث الثاني؛ توظيف الأسطورة في رواية "من أساطير الصحراء"..... 36

خــاتمـة..... 54

قائمة المصادر والمراجع..... 57

الفهرس..... 60

ملخص

تناولت هذه الدراسة توظيف التّراث الأسطوري في روايات من أساطير الصحراء للكاتب اللّيبي إبراهيم الكوني من خلال إبراز التراث الأسطوري الموظّف في رواية من أساطير الصحراء للكاتب إبراهيم الكوني.

اعتمدنا في إعداد البحث على المنهج التحليلي للكشف عن التراث الأسطوري الموظّف في رواية الكوني من أساطير الصحراء .

وقد تضمنت هذه الدراسة فصلين تطرقنا في فصلها الأول إلى ماهية الأسطورة وذلك بتقديم عدّة تعاريف و إبراز أهميتها في حياة الشعوب وتكوين الثقافات الإنسانية كما قمنا بإلقاء الصور على الأدب اللّيبي تاريخه وخصوصياته الفنّية وذلك من خلال رصد مراحل تطوره .

أما في الفصل الثاني فتناولنا الأسطورة في كتابات إبراهيم الكوني وذلك بتقديم السيرة الذاتية للكاتب إبراهيم الكوني ، ومكانته في الأدب العربي حيث قمنا بإبراز المكانة الهامة التي حظيّ بها في العالم العربي بفضل كتاباته التي لاقت اهتماما كبيرا عربيا وعالميا و نالت جوائز عديدة على الصعيد العالمي. كما رصدنا في المبحث الأخير توظيف لأسطورة في رواية من أساطير الصحراء، وذلك بتحليل الرواية والكشف عن الأساطير التي وصفها الكوني في روايته من أساطير الصحراء والكشف عن العالم الغامض الكوني الذي عمل على التعريف به والكشف عنه وعن ثقافته من خلال توظيفه لعناصر بيئته المحلية و كذا توظيفه للتراث الأسطوري الصحراوي.

وفي الأخير توصلنا إلى الخاتمة التي توصلنا فيها إلى بعض النتائج المستخلصة من بحثنا والتي جمعت كل ما قد تناولناه في البحث .

كلمات مفتاحية :

التراث الأسطوري ، الأسطورة ، إبراهيم الكوني ، البيئة المحلية .

Summary

This study dealt with the employment of the mythical heritage in the novels from Legends of the Desert by the Libyan writer Ibrahim Al-Koni by highlighting the mythical heritage employed in the novel from Legends of the Desert by the writer Ibrahim Al-Koni.

In preparing the research, we relied on the analytical approach to reveal the mythological heritage employed in Al-Koni's novel from Legends of the Desert.

This study included two chapters. In the first chapter, we dealt with the nature of myth by presenting several definitions and highlighting its importance in the lives of peoples and the formation of human cultures. We also shed pictures on Libyan literature, its history and its artistic specificities, by observing its stages of development.

As for the second chapter, we dealt with the legend in the writings of Ibrahim Al-Koni, by presenting the biography of the writer Ibrahim Al-Koni, and his place in Arabic literature, where we highlighted the important position he enjoyed in the Arab world thanks to his writings, which received great Arab and international attention and won many awards at the global level. In the last section, we also monitored the employment of a myth in a novel of desert legends, by analyzing the novel and revealing the myths described by al-Koni in his novel Legends of the Desert, and revealing the mysterious cosmic world that he worked to introduce and reveal about him and his culture through his employment of the elements of his local environment, as well as his employment desert mythological heritage.

Finally, we reached the conclusion in which we reached some of the results drawn from our research, which brought together everything that we had dealt with in the research.

Keywords:

Legendary heritage, legend, Ibrahim al-Koni, local environment